
كنوز
التلمود
ترجمة :
محمد خليفة التونسي
مكتبة دار التراث
٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة

كنوز
التلمود

سجل للتلمود مع مختارات مبوبة من كتابات الاحبار

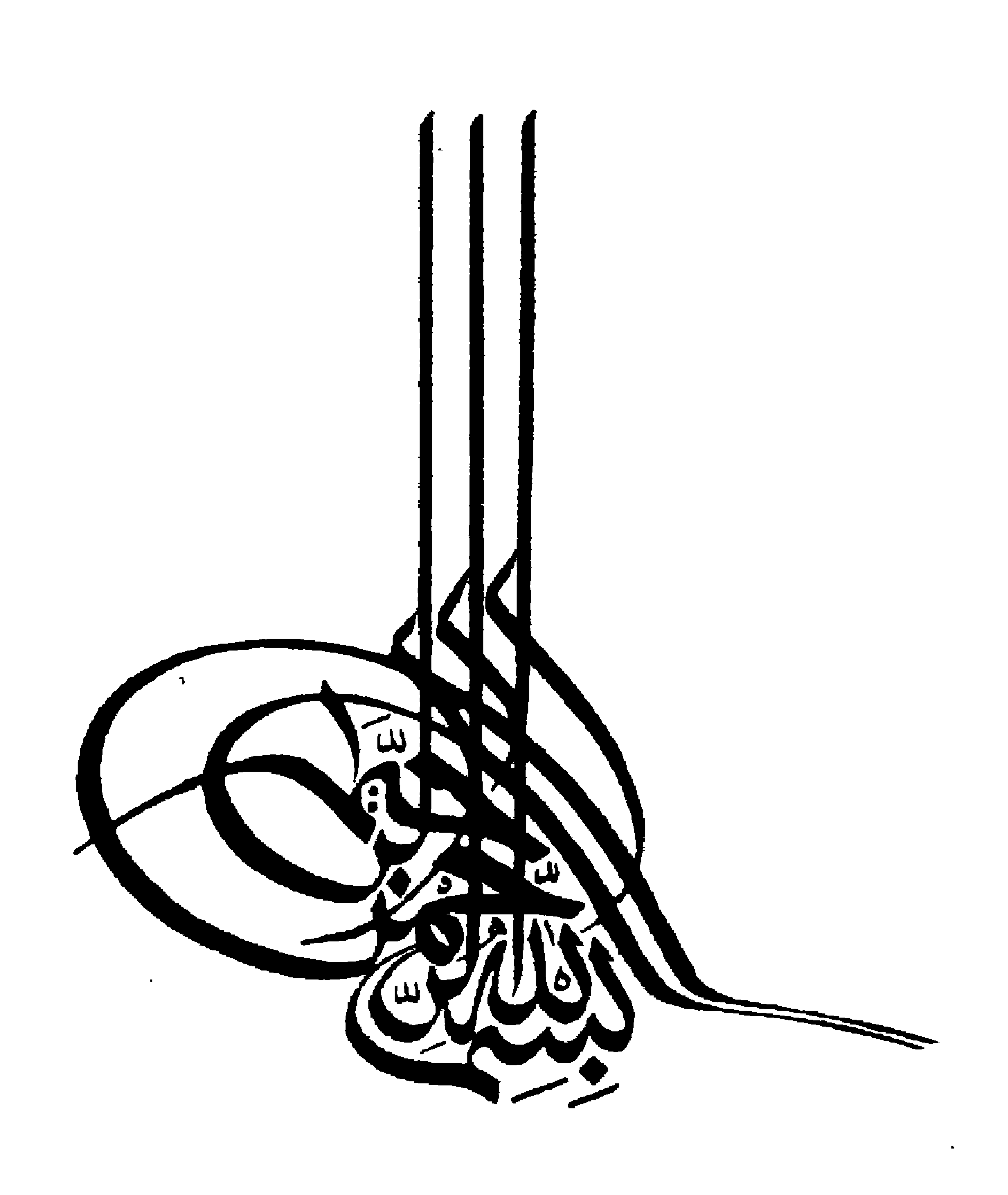
المحرر الموقر : س. ليڤي ماجستير في الآداب

لندن ــ الناشر : ر. مازن ١٣٩ ــ ١٤١ طريق وايت شابل

لندن ــ ش١ ــ ١٩٢٥م .

ترجمة

محمد خليفة التونسي



الطبعة الثانية
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

مقدمة الناشر

هذا العمل المعنون (كنوز التلمود) يشتمل في جزئه الأول على مقدمة تشرح طبيعة محتويات التلمود وفي جزئه الثاني صور مختارة لحكمة وتعاليم الربيين التي يحويها التراث التلمودي والمدراشي .

ويقدم الناشرون عميق شكرهم للموقر س. ليڤي (ماجستير في الآداب) لمشاورته ومعاونته في إعداد ونشر هذا العمل .

ر. مازن وشركاه
مارس ١٩٢٥م

TREASURES OF THE TALMUD

Being an Account of the Talmud with Classified Selections from Rabbinic Literature

Edited by

THE REV. S. LEVY, M.A.

LONDON
R. MAZIN & CO.
139-141, WHITECHAPEL ROAD, E.1
1923

الغلاف الأصلي للكتاب

كلمة وفاء

عندما نسوق الكلمات لتعبر عما يجيش في الصدور من حب ووفاء وعرفان بالجميل لمترجم كتاب (كنوز التلمود) الذي بين أيدينا ومترجم كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون ـــ الخطر اليهودي) ، وصاحب الأيادي البيضاء بما قدمه من كتب جادة في اللغة والأدب والتراث وغيرها الأستاذ محمد خليفة التونسي رحمه الله ، والذي ضرب المثل الحي الصادق في رحابة الصدر وجميل الشمائل المحمدية النابعة من رسالة الاسلام الخالدة ، ولا تفي كلمات الوفاء ما فعله لنا الأب والصديق الحنون ، ليس على مستوى أسرته وأهله وذويه بل على مستوى القاصي والداني من محبيه وتلاميذه ومريديه ، ولذلك فإنه من الوفاء لشخصه الكريم أن تنشر أعماله التي لم تر النور والتي من أولاها ترجمته الدقيقة لكتاب كنوز التلمود التي بدأت منذ حوالي ربع قرن وتم تنقيحها عدة مرات ولم تسعف الظروف لنشرها ولو كان الأستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله يعيش حتى الآن لزاد عجبه لتأخر نشر ترجمة كنوز التلمود حتى الآن لفارق الزمن الطويل بين نشر ترجمة بروتوكولات حكماء صهيون عام ١٩٤٦م ونشر ترجمة كنوز التلمود عام ١٩٨٩م خاصة وأن استاذنا العقاد قال عن ترجمة البروتوكولات : (ظهرت أخيراً في اللغة العربية نسخة كاملة من هذا الكتاب العجيب : كتاب بروتوكولات حكماء صهيون ومن عجائبه أن تتأخر ترجمته الكاملة في اللغة العربية إلى هذه السنة مع أن البلاد العربية أحق البلاد أن تعرف عنه الشيء الكثير في ثلث القرن الأخير وهي الفترة التي منيت فيها بجرائر وعد بلفور والتمهيد لقيام الدولة الصهيونية على أرض فلسطين) ثم قال : (والطبعة العربية التي بين أيدينا اليوم منقوله من الطبعة الانجليزية الخامسة نقلها الأديب المطلع الأستاذ محمد خليفة التونسي وحرص على ترجمتها بغير تصرف يخل بمبناها ومعناها فأخرجها في عبارة دقيقة واضحة وأسلوب فصيح سليم . صدر المترجم الفاضل لهذا الكتاب الجهنمي بمقدمة

مستفيضة ..) تشرح مضامينه وأهدافه وخطورته على البشرية جمعاء .

وإدراك المترجم لخطورة أمثال هذه الكتب دفعه للتضحية بالتقدم لترجمتها وهي تضحية عظيمة يحتسبها صاحبها عند الله ، داعين المولى عزوجل أن ينفع بها كل الاممين (غير اليهود من سائر الديانات) الذين يتهددهم الخطر .

فرضي الله عنك بما اسديت إلينا وللانسانية والمسلمين من فضل عامر وبوأك الله في الصالحين مكاناً علياً .

أهمية دراسة التلمود

التلمود هو كتاب مقدس لدى اليهود يحتوي على تعاليم كثيرة يجهل الكثير من الناس محتواه وقد يعلمون اسمه ، وهذا مجحف بالكتاب أو من يعرف عنوانه فقط ، ومازال مثل غيره من كتب الديانة اليهودية غير متداول بين القراء ولا يتداوله إلا اليهود ، لحرصهم الشديد على عدم كشف دعواهم كما يفعل بقية أصحاب الديانات .

وان المكتبة العربية والاسلامية تفتقر للدراسات الجادة التي تتناول التلمود والترجمة التي بين أيدينا فرصة ذهبية لسد هذا الفراغ خاصة وأن التلمود يتبوأ منزلة عظيمة في عقول اليهود وقلوبهم ولكي نتعرف عليهم فلابد أن ندرس تلمودهم .

يقول المؤرخ اليهودي الألماني هاينرخ غريتس عن التلمود البابلي (بكلمة واحدة فإن التلمود هو مربي الأمة اليهودية ومعلمها) .

والتلاعب في الكتب المقدسة طبع قديم في أحبار اليهود بدؤوه بكتبهم ولم ينتهوا حتى اليوم فكانت تعاليم الأحبار وتفاسيرهم الثانوية وما يدخل في باب العادات والرغبات الشخصية مرتبطاً بالعقائد والعبادات حتى بلغ الأمر في نهايته باختفاء العقيدة والتوحيد والسماحة وبقيت العنصرية والتعصب وحب السيطرة ..

وقد بذل أصحاب العقائد المحرفة والفاسدة الغالي والرخيص لتنفيذ أقوال حكمائهم وهم يقولون ـــ الحكيم أعظم من نبي وان من يتخاصم مع معلمه

فكأنه تخاصم مع الحضرة الالهية (سفر العدد : ٢٠ : ١٣) وهي مقولات لا يحتاج ضعفها إلى تدليل ، لكن انحطاط الحياة الفكرية لديهم حطم جانباً كبيراً من الحضارة الأخلاقية وتركهم منغمسين في محاولة السيطرة على الأسباب المادية للسيطرة على من هو أضعف منهم ، وكانت تعاليم التلمود هي سبيلهم ، وتدنت التوراه — وهي الكتاب السماوي — في المنزلة بعد التلمود وهو ما يوضح السلوك الصهيوني الذي يتسم بالمحاولة الدائبة للسيطرة المادية (خلق العالم من أجل اسرائيل) (١٤ — ١١٨) لأن اليهودية ديانة خاصة اي إله خاص بشعب خاص وكما يقول برنارد لازار : (لكن اليهودي حافظ دينيا على فكرة الاستعلاء والتفوق هذه واستمر في النظر بأنفه واحتقار إلى جميع الذين كانوا غرباء عن شريعته ، أما الذي علمه أن يكون كذلك فهو كتابه التلمود المليء بعصبية ضيقة وضارية . لقد اتهم الكتاب بأنه ضد المجتمع وهذه التهمة تنطوي على شيء من الحقيقة) .

وقد رسم الأدب التلمودي حدود اسرائيل في المستقبل كما جاء في (سفري دباريم) (سوف تمتد حدود أرض اسرائيل وتصعد في جميع الجهات ، ومن المقدر لأبواب القدس أن تصل إلى دمشق وسوف تأتي الدياسبورا لتنصب خيامها في الوسط) .

لهذا ندعو الله مخلصين أن تصل هذه الترجمة الى يد القاريء الكريم ليدرك بعض مافاته من تفهم العقيدة الصهيونية .

المشرفان على طبع الكتاب
د. تيمور محمد خليفة التونسي
خليفة عبدالله خليفة التونسي

مقدمة

(التلمود أو التلموذ Talmud) «١»

شريعة اليهود كلهم اساسها وملاكها توراتهم بأسفارها الخمسة : التكوين ، والخروج ، واللاويين (الأحبار) والعدد ، والتثنية أو الاشتراع (أو تثنية الاشتراع) وكلهم يقدسونها ، لأنهم ينسبونها الى موسى عليه السلام ، ويعتقدون انها اوحيت اليه من ربه على جبل الطور في سيناء ، فسلمها الى قومه مكتوبة كما تلقاها .

التلمود يتألف من المشناة والجمارة

وقد احتاجت محتويات التوراة الى تفسير يوضحها ويتمها ، فكان تفسيرها هو المشناة Mishnah ثم احتاجت المشناة ايضا الى ما يفسرها فكان تفسيرها هو الجمارة Gemara ، وقد تطلق كلمة التلمود أو التلموذ على الجمارة وحدها ، أو على المشناة والجمارة معا ، فالتوراة اذن اساس المشناة ، والمشناة اساس الجمارة ، والعلاقة بين هذه الثلاث هي — كما نقول في مصطلحنا العربي في التأليف — علاقة المتن بشرحه ثم حاشيته .

وكلمة التلمود عبرية ، تعنى التعليم Teaching من جانب والتعلم Learning من جانب آخر — فهي كما يقول المناطقة — من الالفاظ النسبية أو الاضافية ، لأنها عقليا تستلزم جانبين معا ، فلا تعليم حيث لا تعلم ، ولا تعلم دون تعليم .

« ١ » ومثلها في لغتنا العربية : التلميذ والتلميذة ، فالتلمذة علاقة بين معلم ومتعلم ، واستعمال هذه الكلمة ومايشاركها في الجذر اروج بالذال في لغتنا من استعمالها بالدال المهملة ، ولكن الدال في الجذر اشد اصالة (تراجع مادة « لمد » في لسان العرب وان كان معناها يبدو في الظاهر بعيدا عن معنى « التلمذة »)

التلموديون عمل الفريسيين العنصريين

كل اليهود توراتيون « اي متمسكون بتعاليم التوراة » ولكن ليسوا جميعا تلموديين « اي متمسكين ايضا بتعاليم التلمود : المشناة والجمارة » وان كان معظمهم حتى اليوم كذلك والتلموديون الحريصون على التلمود كالتوراة أو اشد حرصا هم طائفة الفريسيين **Pharisees** الذين يدعون انهم ورثة عزر الكاتب « القرن ٥ ق.م » في حفظ الشريعة ، وقد اشتد نفوذهم بين اليهود منذ القرن الثاني « ق.م » وكانوا اشد طوائفهم عنصرية ، ثم نزوعا الى الانفصال عن سائر الأمم مع التعالي عليها جميعا ، واستباحة نفوسها واموالها وقد لقي منهم السيد المسيح منذ اعلن دعوته اشد العنت ، وشنع على تعاليمهم ، ولكن تعاليمهم هي السائدة بين معظم اليهود حتى اليوم ، وهناك طوائف يهودية تنكر التلمود ولا تؤمن الا بالتوراة وحدها ، وأهم هذه الطوائف مما قبل المسيح عليه السلام وبعده طائفة الصدوقيين الذين عاصروا الفريسيين وخاصموهم ، ثم طائفة الاسينيين الذين تركوا الدنيا لهاتين الطائفتين وركنوا الى الزهد ، وهم اقرب الى المسيحية وكانوا الممهدين لها ، ثم طائفة القرائين بعد ظهور الاسلام ، وبتأثير منه ، وقد ظهروا في العراق ، وامام ثورتهم الدينية هو عنان بن داود الذي ظهر ببغداد في القرن الثامن الميلادي « الثاني الهجري » متأثرا بالتعاليم العقلية للمعتزلة التي اشتد نفوذها يومئذ هناك وظلت طائفة القرائين نشيطة حتى اليوم ، شرقا وغربا ، وان كان كثير ممن لايقدسون التلمود يأخذون بمعظم تعاليمه العنصرية .

الشريعة اليهودية عند التلموديين

التلمود بقسميه من عمل الطائفة الفريسية خلال قرابة الف سنة ، وهم يقدسونه كالتوراة أو اشد ، ويرون ان التوراة وحدها كالماء ، وان المشناة كالخمر ، وأن الجمارة كالخمر المعطرة وان التوراة وحدها لا تغني ولا تصلح دون المشناة والجمارة . والتلموديون يعتقدون ان شريعتهم قسمان : مكتوبة وشفوية . فالمكتوبة هي التوراة بأسفارها الخمسة ، وانما سموها مكتوبة لاعتقادهم ان موسى تلقاها وحيا مكتوبا ، وكذلك اخذها عنه قومه ، اما الشفوية فهي محتويات المشناة ، وقد اختلفوا في اصلها وتاريخها ، فمنهم من يرتقي بها الى موسى « القرن الثالث عشر قبل الميلاد » (ويرون انه تلقاها كما هي أو تلقى خلاصتها عن ربه مع التوراة ، ولكن مشافهة ، ثم شافه بها هرون اخاه وعونه وكاهنه في قومه ، ويوشع بن نون غلامه وخليفته في زعامتهم ، وبقية الآباء الذين كلفهم حفظ الشريعة في حياته وبعده ، وعنهم اخذها الأنبياء ثم اعضاء المجمع الاكبر Great Synagogue ثم اخلافهم مثل شمعون العادل ، وبقيت كذلك تنتقل اجزاء متفرقة — شفوية ومكتوبة — حتى جاء الراب « الحبر » يهوذا هناسي او الناسي « ت ٢١٩م » فجمعها وكتبها فكان منها « المشناة » « اي المثناة « ٢ » وانما سميت كذلك لأنها تثني أو تعيد الشريعة الاولى المكتوبة « التوراة » وتؤاخيها حين تفسرها ، كما ان كلمة المشناة تعني الشفوية ، وهي بذلك تقابل كلمة المقراة Migra اي المقروءة « والمكتوبة ايضا » وهي التوراة اذ لا يقرأ من الكلام إلا ما هو مكتوب .

ومن اللاهوتيين التلموديين من كانوا يردون المشناة الى عصر احدث من

« ٢ » يظهر ان اسلافنا عرفوا شيئا عنها ، وقد سموها المثنى (القاموس : مادة « ثنى ») وهي ترجمة اشبه بالتعريب لانها كأقرب الكلمات العربية لها لفظا ومعنى ، ونحن نفضل تعريبها « المشناة » على ترجمتها فقد عرب اسلافنا كلمة التوراة ولم يترجموها ، والتعريب في الاعلام ونحوها افضل أو هو وحده الوجه الصحيح .

موسى اذ ينسبونها الى عصر داود بن سليمان « القرن العاشر قبل الميلاد » وينسبها آخرون الى عزرا الكاتب « القرن الخامس قبل الميلاد » وكل هذه وجهات نظر ارتأوها وروجوا لها ليثبتوا عراقة هذه الشريعة الشفوية ، وكان لهم ماارادوا ، فقد تلقت ذلك عنهم الامم الاخرى بالتسليم وبقي ذلك شائعا مدى قرون متطاولة حتى اواسط القرن الماضي وحينئذ تصدى علماء النقد التاريخي في الغرب للاسفار اليهودية المقدسة فتعمقوا في فحصها وتحليلها على اسس علمية لغوية وتاريخية مقارنة ، فتبين لهم ان عراقتها واصالتها لا تقومان على اساس صحيح .

مصادر الأسفار اليهودية المقدسة

لقد كشف هؤلاء النقاد ان اجزاء التراث اليهودي المقدس قد نمت وتطورت خلال اكثر من ١٦٠٠ سنة ، وان اي سفر لم يأت دفعة واحدة ، وان كهنة اليهود لم يكتبوا اي سفر من اسفارهم المقدسة — ومنها التوراة والمشناة والجمارة — الا في عصر متأخر كثيرا عن العصر الذي ادعوا ان السفر كتب فيه ، وان بعض هذه الاسفار قد نسب الى غير صاحبه أو شاركه فيه غيره . وان كثيرا مما كتبوه قد ضاع أو اختفى ، ومن ذلك أسفاراً كاملة ، وان معظم تعاليم شريعتهم بقي يتداول شفويا مدى اجيال فتعرض لما يتعرض له كل مأثور شفوى في اي عصر واي بيئة من تحوير تلقائي أو متعمد ثم سجل متفرقا قبل تسجيله منتظما في سفر أو اسفار ، فتعرض خلال تسجيلة متفرقا ثم مجتمعا لما لابد ان يتعرض من اخطاء النسخ واهوائه ، وانهم لم يدونوا هذا التراث الا اضطرارا على مراحل ، ولم يكن ذلك في اي مرحلة الا تحت ضغط الاحوال السياسية والاجتماعية القاسية التي خضعت لها جماعتهم في علاقاتها الداخلية والخارجية خلال تلك المرحلة ، فنزعوا الى جمع تراثهم وتدوينه حذرا عليه من الضياع ، ومن أن يضيعوا بضياعه ، اذ كانت الاحوال القاسية تهددهم ايامئذ بالتمزق والشتات ، ثم بالذوبان في الأمم لو انهم اهملوا التمسك به . كذلك تبين

للنقاد ان محتويات هذه الاسفار ليست وليدة الفكر اليهودي وحده بل إن معظمها مستعارة من مأثورات الأمم التي خالطوها خلال عهود تجولهم وعهود — استقرارهم — في منطقة الشرق الاوسط — واهمها مأثورات البابليين والاشوريين حتى الهنود والفرس في العراق والكنعانيين ومنهم (الفونيون أو الفينيقيون) وغيرهم في الشام ، والمصريين في مصر ، وكانت هذه الأمم اسبق منهم الى الاستقرار والحضارة ، كما كانت اوسع واعلى ثقافة وقد انتفعوا هم بهذه المأثورات فكان منها معظم تراثهم الديني وغير الديني « ٣ » الى جانب مااخذوا من حضاراتها خلال اطوارهم التاريخية ، وقد استعاروا في كل طور ما ناسب نفسيتهم خلاله ، وحوروه على وفقها ، واضافوا اليه من نتاجهم المبتكر ما يأتلف معها ومعه ، وحاولوا — عند جمع ذلك كله وتدوينه — ان تكون اجزاؤه فيما بينها منسجمة بقدر الاستطاعة ، ومع ذلك بقي كثير منها مختلفا أو متضاربا وهذا ما يكشف عنه اختلاف الروايات التاريخية للحادثة الواحدة ، الى جانب اختلاف الارآء أو الاحكام الدينية المنسوبة الى مصدر واحد ، وهذا مما ساعد النقاد على كشف اسرارها ، ولهذا التراث المقدس — مع كل علاته — فضل عظيم ، فهو جزء من تراث الانسانية ومهما يكن ما فيه من استعارات مرجعها مأثورات الأمم الاخرى فقد حفظ لنا من ذخائرها ما ضاع أو اختفى عند اصحابه مع تقلب الدول ، الى ان كشفت عن بعضه الحفريات في القرنين الاخيرين ، ولم يزل اكثره مطمورا ، ان لم يكن قد اندثر .

«٣» يلاحظ ان الشريعة عندهم تمتد الى كل نشاط انساني فردي أو جماعي ، لتبين حكمها فيه ، وتتدخل في التوافه كما تتدخل في العظائم ، ومن هنا تزدحم بالاحكام التفصيلية الى حدود بعيدة ، مما لانظير له في اي كتاب مقدس ، ومثل هذه الظاهرة لا تظهر في الشرائع . الا خلال فترات الضعف والجمود وازدياد نفوذ القائمين على الشرائع .

كيف تكونت المشناه تاريخيا ؟؟

منذ ان بدأت قواعد الشريعة اليهودية في الظهور قام احبارها يفسرون احكامها ، ويطورونها كما فهموها ، أو كما ارادوا ان تكون ، وفاقا لاحوالهم الاجتماعية والسياسة الداخلية والخارجية ، والتفسير هنا يعني توضيح القواعد ، والتوفيق بينها ، وتقدير المصلحة معها ، واستنباط الاحكام الفرعية منها ، والتعليق عليها بما يناسبها من آراء وامثال واقاصيص ، وقد ظهر ان اليهود اتموا تدوين اسفارهم الخمسة لتوراتهم هذه في اخريات القرن الرابع « ق.م » وعلى اساسها قامت المشناة ، وكان معظم اليهود حوالي هذه الفترة ــ اي منذ سبيهم من فلسطين الى بابل سنة ٥٨٧ ثم عودة بعضهم الى فلسطين سنة ٥٣٨ حتى القرن الثاني للمسيح موزعين بين بابل وفلسطين ، فأسس احبارهم مدارس للشريعة في هذين القطرين ، وكان ذلك قبل ان يتم تدوين اسفار التوراة وبعد تدوينها ، ومن هذه المدارس ظهرت تفاسير كثيرة لأجزاء من التوراة ، كان كل منها يسمى المدراس أو المدراش اي الدرس أو الدراسة بمعنى التفسير ، وقد بقي بعض هذه المدراسات وضاع بعضها « ٤ » وقد نشطت هذه الدراسات منذ عزرا الكاتب (القرن الخامس قبل الميلاد) وتبعه فيها كثيرا من كتبة الشريعة الذين يسمى عصرهم في التاريخ اليهودي عصر السوفريم Sopherim (اي الكتبة) وقد جاؤا بعد عصر الأنبياء ليخلفوهم في حفظ الشريعة ، وقد روج لهذه الدراسات اعضاء المجمع الكبير ، ولكنها ازدادت نشاطا ورواجا منذ اشتهر بين اليهود نفوذ الفريسيين لاسيما خلال القرن الثاني قبل الميلاد ، وقد استمرت سطوتهم قرونا ، تمت خلالها تعاليم المشناة الى ان تمت كتابتها في مطالع القرن الثالث للمسيح كما تمت خلالها بعدئذ تعاليم الجمارة الى ان تم تدوينها في القرن السادس الميلادي .

«٤» من المدراسات المفقودة « مدراس النبي عدو » و« مدراس سفر الملوك » اللذان يشير إليهما « سفر الأيام » « الثاني ٢٢/١٣ ، ٢٧/٢٤ » .

وقد تمكن النقاد من التمييز بين نوعين من محتويات هذه المدراسات ، وان تكن قديمة : النوع الاول مايسمى الهلاخة (أو الحلقة) ومصادر هذا النوع الفتاوي والاحكام المعتمدة التي اصدرتها مدارس الشريعة في بابل وفلسطين ، لتكون قواعد شرعية واجبة الالتزام ، لم تكن كتابتها مباحة حتى لا تختلط بالتوراة وان كان هذا لم يمنع افرادا من كتابة بعضها سرا « ٥ » والنوع الثاني ما يسمى الهجادة وفيه شروح لقواعد الهلاخة (والتوراة احيانا) ولكنها فردية حرة ، كانت تعد مجرد آراء قيلت لتوضيح قاعدة شرعية ، ولهذا ابيحت كتابتها دون الهلاخة ، اذ لا يخشى اختلاطها بالتوراة ، واقدم مجموعة من الهلاخات هي التي اصدرتها مدرسة الحبر هليل « ٦ » Hillel (حوالي عصر المسيح) وهي تؤلف اقدم مشناة ، وقيل ان اول من قسم المشناة الى ست رسائل هو الحبر عقيبة (الذي استشهد في فلسطين سنة ١٣٢م خلال ثورة اليهود ضد الرومان في عهد الامبراطور هادريان ، كما قيل ان اول جمع لمواد المشناة وغربلتها قامت به مدرسة الربان شمعون بن جماليل سنة ١٦٦م ، وينسب علماء اليهود تدوين المشناة الحالية — كما قدمنا — الى حبرهم الكبير يهوذا هناسي أو الناسي (١٣٥ — ٢٢٠م) الذي يلقبونه الرئيس لفضله على المشناة ، وقيل انه دونها سنة ٢١٩ قبيل وفاته ، ولكن النقد التاريخي (لنصوص المشناة) اظهر ان فيها اضافات ضمت اليها بعده ، بدليل ما فيها من اشارات الى رجال واحداث لم تقع الا بعد وفاته . ولم تنته المشناة في اوائل القرن الثالث للمسيح الا مع انتهاء عصر من ازهر عصور التشريع اليهودي ، يسمى عصر التنائيم ، بمعنى المعلمين ، اي معلمي الشريعة ، وهو يمثل الطبقة الاولى من شراح التوراة ومعلميها الكبار ، وقد امتدوا يعمقون قواعد الشريعة ويوسعونها ، ومن شروحهم وآرائهم ومعارفهم بمأثورات الأمم الأخرى ، نشأت المشناة وتطورت

« ٥ » يشبه هذا في تاريخنا حركة تدوين الاحاديث النبوية وتأخرها ، حتى لا تختلط بآيات القرآن الذي دون كله في حياة النبي ، ثم جمع في خلافة ابي ابكر ، وكتب في مصاحف ايام عثمان .

« ٦ » ولد في مدينة بابل وعاش في القرن السابق لخراب بيت المقدس « وكان هذا الخراب وهدم الهيكل سنة ٧٠م »

جيلا فجيلا حتى تمت لها صورتها الأخيرة الرسمية .

الجمارة (٧)

لم تنقطع حلقات دراسة التوراة في بابل وفلسطين عن نشاطها العلمي بعد ذلك ، بل واصلته ، فنشأت طبقة اقل من التنائيم اجتهادا ، هي طبقة الأمورائيم بمعنى القائلين اي المفسرين (٢٢٠ ـــ ٥٠٠م) وهم الذين اهتموا بشرح المشناة ، وتحصل من شروحهم لها ما يسمى « الجمارة » وكان كثيرا من محتويات المشناة الرسمية معروفا قبل ذلك فيما يسمى « السفرا » « أو تراث الكهنة » وهو جملة مدراسات على اسفار التوراة الخمسة ، وقد اضيفت اليها عدة مدراسات الفها بعض معلمي الشريعة لتكون مذكرات بأيدي تلاميذهم الى جانب المشناة الرسمية ، وكل المدراسات المضافة من هذا النوع كانت تسمى بوراتياس أو توسفتاس Tose ftas « ٨ » بمعنى خارجية أو اضافية ، وكانت تنمو وتتطور في حلقات الدراسة بالشرح والمناظرة ، وكانت تدون متفرقة ، ولكن الاضطهادات التي اصابت اليهود ومدارسهم في فلسطين خلال القرن الرابع ، وفي بابل خلال القرن الخامس حملت الاحبار اضطرارا على جمعها وكتابتها معا ، ومن هنا تأصلت الجمارة الحالية أو تأصل التلمود الحالي لانها تتمة المشناة ، ومجموعهما معا هو التلمود ،وكان ذلك في نهاية القرن الخامس أو بعده ، كما سنبين ، فالتلمود اذن حصيلة الف عام من النشاط اليهودي الثقافي دينيا ومدنيا ، بعضه مستعار وبعضه مبتكر .

« ٧ » كلمة ارمية ، بمعنى التكملة أو التعليم أو القرار .

« ٨ » كلمة ارآمية بمعنى الاضافية .

التلمود تلمودان : فلسطيني وبابلي

المشناة الرسمية واحدة ، ولكن لها شرحين أو جمارتين ، احداهما تمت في مدارس فلسطين ، والاخرى في مدارس بابل ، وبينهما اختلاف كثير أو قليل ، بحسب اختلاف المواضع والمراجع . والجمارة الفلسطينية ، وحدها أو مع المشناة فتسمى التلمود الفلسطيني Palestinian Talmudواما الجمارة البابلية مع المشناة نفسها ــ تسمى التلمود البابلي Babylonian Talmud « ٩ » واشهر المدارس التي اسهمت في الجمارة الفلسطينية مدرسة يبنة ، واهم منها مدرسة طبرية ، وبخاصة في ايام اشهر عمدائها الراب يوحنان « ت ٢٧٩ » حتى قيل ان هذه الجمارة غالبا من تأليفه ، ولكن النقد الداخلي « للنصوص » اظهر انها تشير الى اشخاص وحوادث لم تقع الا بعده بعشرات السنين ، وان هذه ــ الجمارة ــ لم تكن تامة حتى نهاية النصف الاخير من القرن الرابع ، وهذا يتفق مع رأى العلامة اليهودي موسى بن ميمون . واما التلمود البابلي فقد قامت به خلال هذه الفترة ايضا وبعدها مدارس الشريعة في بابل ، واشهرها مدرسة نهروعة ، ثم مدرستا سورا وبمباديثا « ١٠ » وفيه اشارات الى التلمود الفلسطيني مما يدل على تأثره به كما ان تأليفه تم بعده ، وينسب تأليف هذا التلمود الى الكاهن آشي رئيس مدرسة سورا « ٣٥٢ ــ ٤٢٧م » لأن اسمه ذكر فيه ، ولا شك في ضخامة الجهد الذي بذله « آشي » في جمع مواد هذا التلمود وتحقيقها وتقييمها وتنظيمها ، فقد دام ذلك اكثر من نصف قرن ، ولكن آشي لم يعش حتى يتمه ، واهم من

« ٩ » اساس هذه التسمية هو الموقع ، ولذلك يسمى الاول احيانا التلمود الغربي أو تلمود ارض اسرائيل ، ويسمى ايضا المقدسي أو الاورشليمي وتكريما له وان لم يكتب في بيت المقدس « اورشليم » ويسمى الثاني : التلمود العراقي أو الشرقي .

« ١٠ » بقيت هاتان المدرستان في العراق تخدمان الشريعة اليهودية حتى القرن الحادى عشر الميلادي « الخامس الهجري في عهد العباسيين »

ساعد في اتمامه الراب توسينا « ت ٤٧٠م » ثم حبران آخران همارابينا و يوسي « ت ٤٩٩ » عميدا كليتي سورا وبمباديثا ولا شك ان مدارس اخرى اسهمت في تقديم هذا التلمود على صورته الاخيرة بأسلوب ادبي ، وقد جاء في التاريخ اليهودي ان التلمود البابلي تم في اليوم ١٣ من شهر كسليو العبري واليوم الثاني من كانون الاول سنة ٤٩٩ ، ولكن اذا لاحظنا ما قدمناه ، من ان مواد الجمارة البابلية نمت ودونت تباعا في عصر الاموراثيم « المتكلمون » حتى نهايته ، وان هذا العصر يمتد بين سنتي ٢٢٠و٥٠٠م ، وان سبعة ابواب اضيفت بعد ذلك الى هذه الجمارة لايقابلها شيء من المشناة ، عندئذ يظهر لنا ان التلمود البابلي لم يتم الا خلال القرن السادس حتى اخرياته .

أقسام المشناه

المنشاة مقسمة ستة اقسام تسمى سيداريم Sedarim اي انظمة أو رسائل ، وكل منها مقسم اقساما فرعية تسمى ماسيختوش Massechteth اي انسجة أو ابوابا « مجموعها ٦٣ » وكل باب مقسم اقساما اصغر تسمى بيراكيم Perakim اي فصولا « مجموعها ٥٢٥ » وكل فصل يشمل عدة فقر . ولا يتفق عدد الابواب في كل رسالة ، ولا عدد الفصول في كل باب ، ولا عدد الفقر في كل فصل .

ويكفي هنا ان نشير لمحا الى عناوين الرسائل الست ، وموضوعاتها ، وفي عنوان كل رسالة دليل على موضوعها .

الاولى الزراعات « زراعيم Zeraim » أو نظام الحبوب ، ويتناول اصلا القوانين الدينية المرتبطة بالزراعة وعقودها ، وفيها ١١ بابا (عدد فصولها كما يأتي : ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ٥ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ٤ = ٧٥ فصلا)

الثانية : المواعيد (موعيد Moed » او الأوقات ، وهي توضح نظام الأعياد والمواسم وحدود اوقاتها بدءا ونهاية ، والاحتفالات الطقوس التي يجب

القيام بها في كل موسم . وفيها ١٢ بابا « فصولها : ١٤، ١٠ ، ١٠ ، ٨ ، ٨ ، ٥ ، ٥ ، ٤ ، ٤ ، ٣ ، ٣ = ٨٨ فصلا» .

الثالثة : النساء « ناشيم Nashim » وتبحث في واجبات الرجل والمرأة ، واحكام الخطبة والزواج والطلاق والخيانة الزوجية ، والأرث والوصية والنذور ، والايمان . فيها ٧ ابواب « فصولها : ١٦ ، ١٣ ، ٤ ، ٩ ، ١١ ، ٩ ، ٩ =٧١ فصلا »

الرابعة : الجزاءات « نيزكين Nezikin » أو العقوبات وتبين المحظورات والاعتداءات من شخص أو حيوان والتعويضات . فيها ١٠ ابواب « فصولها : ١٠ ، ١٠ ، ١١ ، ١١ ، ٣ ، ٨ ، ٨ ، ٥ ، ٦ ، ٣ = ٧٤ فصلا » ومن أهم ما فيه الباب الرابع بفصوله الاحد عشر ، وهو يوضح تشكيل السنهدرين Senhedrin اي المحكمة العليا ونظامها وسلطاتها .

الخامسة : المقدسات « كوداشيم Kodashim » وهي القرابين والتقدمات المقدسة التي تقدم للهيكل « ومنها الذبائح والثمار والعجائن » وانواعها وشروطها ومراسم تقديمها . فيها ١١ بابا « فصولها : ١٤ ، ١٣ ، ١٢ ، ٩ ، ٩ ، ٧ ، ٦ ، ٦ ، ٧ ، ٥ ، ٣ = ٩١ فصلا »

السادسة : الطهارات « طهاروت Taharoth » اي طهارة الاجسام والملابس والأوعية وامتعة المنازل والخيام ، وما ينجسها وكيفية تطهيرها . فيها ١١ بابا « فصولها : ٣٠ ، ١٨ ، ١٤ ، ١٢ ، ١٠ ، ١٠ ، ١٠ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٤ ، ٣ = ١٢٦ فصلا » ومن هنا يتضح ان رسائل المشناة ٦ وابوابها ٦٣ وفصولها ٥٢٥ . *

---

* اشتملت مقدمة السيد (ليفي) على عرض متكرر لهذه الأقسام خاص ببعض تفاصيل السلوك للأبواب المذكورة ورأي المترجم دمجها على هذا النحو الشامل المتناسق الذي لا يخل بالمعنى .

الفرق بين الجمارتين أو التلمودين

قدمنا ان المشناة واحدة ، ولكن لها جمارتين : فلسطينية تمت في مدارس فلسطين في اخريات القرن الرابع ، وبابلية تمت في مدارس بابل في آخر القرن الخامس ، واضيفت اليها سبعة ابواب في القرن السادس حتى اخرياته . وكلتا الجمارتين تتابع المشناة فقرة فقرة ، فتفسر معنى الفقرة مع ذكر الارآء المختلفة فيها ، والحكم عليها بأغلبية الارآء أو أقليتها وقد تتوقف عن ذلك احيانا ، لكن التلمود الفلسطيني ، يذكر فقرة المشناة ويردفها بالجمارة ، وتشرح جمارته ٣٩ بابا من ابواب المشناة الثلاثة والستين ،على حين يكتفي التلمود البابلي بالاشارة بذكر ارقام الأوراق في المشناة ، مع رقم صفحتي الورقة « أ » و « ب » ولا يشرح من ابواب المشناة غير ٣٦٫٥ باب ، ومع ذلك يقارب حجم التلمود البابلي اربعة اضعاف الفلسطيني ، وفي البابلي ايضا سبعة ابواب لاتقابلها مشناة ، يبحث كل منها موضوعا ، وموضوعاتها على الترتيب : قواعد كتابة اللفائف المخطوطة ، وسائر الكتب المقدسة ، وطقوس الحداد على الميت ودفنه ، وطقوس العرس والزواج ، موضوعات اخلاقية واجتماعية واعتقادية ، كيفية معاملة الداخلين الجدد في الدين ، ومعاملة السامريين « وهم طائفة اسرائيلية ، ولكنها تخالف اليهود ،ولها توراتها المستقلة» وهوامش أو تعليقات قصيرة في موضوعات شتى وكلها اضيفت الى التلمود في القرن السادس

وكذلك تختلف الجمارتان لغة أو لهجة كما تختلفان عن المشناة لغة ، اذ كانت اللغة العبرية لغة تخاطب بين افراد الشعب اليهودي فترة امتدت من القرن « ١٣ ق. م » حتى خراب مملكة يهودا والسبى البابلي ، سنة ٥٨٧ ق.م « وهذه المرحلة الذهبية للعبرية » ثم استمرت حية بعد السبى «وهذه مرحلتها الفضية » حتى انقرضت على السنة الشعب وحلت محلها الارآمية في اواخر القرن الرابع « ق.م » وباللغة العبرية القديمة في مرحلتها الذهبية حين كانت فصيحة خالية من الشوائب كتبت بعض اسفار العهد القديم ، وبعبرية المرحلة الفضية ، حين

كثرت فيها الالفاظ الارآمية ،كتبت بقية اسفار هذا العهد ، ولاذت العبرية بعد ذلك بالمدارس ودخلتها افواج .من الالفاظ الارآمية والفارسية واليونانية وغيرها ، حتى اوائل العصور الوسطى الأوربية ، وتسمى العبرية في هذه المرحلة عبرية الأحبار أو العبرية التلمودية ، اذ كانت حية على السنة الاحبار في المدارس والمعابد ، وبها كتبت المشناة ، وهي القسم الاقدم في التلمود.وبالنظر الى جهل الشعب اليهودي بالعبرية القديمة في مرحلتها الذهبية والفضية ، وجهله بعبرية الاحبار ، ومعرفته بالارآمية التي حلت محلها على السنته في التخاطب — اضطر الاحبار الى ان يشرحوا له المشناة بالارآمية ، كما يفهمها ولذلك كتبت الجمارة الفلسطينية باللغة واللهجة الارآمية الفلسطينية الحديثة ، وهي احد فروع الآميّة الغربية « في الشام » وكتبت الجمارة البابلية — ما عدا قسم الباريت — بما يسمى اللغة أو اللهجة الآرامية الجنوبية وهي احد فروع الآميّة الشرقية في العراق ، وهي اقرب الفروع الى اللهجة المنداعية Mendean الصابئية ، جنوبي العراق ، اما قسم الباريت فقد كتبت بالعبرية الاحبارية .

في التلمود تياران مختلفان

يخطىء كثير من الباحثين ومقلديهم حين يحملون التلمود كل مآخذهم على جماعة اليهود في موقفها العدائي من سائر الأمم والأمميين واعتبارهم اياهم انجاسا أو حيوانات واستباحتها في معاملتهم كل وسيلة ، أو نظرتهم اليهم « نظرة شيئية ، اي كأنهم اشياء لا تستحق الا التسخير دون مراعاة اي حق أو حرمة ، وهذه النظرية لاشك هي الغالبة على اليهود ، وللتلمود في ذلك اكبر الأثر لأن الجماعة اليهودية تردد ، وتأخذ بتعاليمة الفريسية العنصرية اكثر مما تأخذ بتعاليم التوراة ، ومع ذلك تجد ان في التوراة ومعظم اسفار العهد القديم ، ثم في التلمود تيارين مختلفين احدهما حنيفي انساني ينظر الى الناس جميعا على انهم اخوة ، ربهم ورب العالم كله واحد ، وهم جميعا خلائقة لا يتفاضلون عنده الا بالايمان والعمل الصالح ، والتيار الثاني عنصري اثر تمثله عقيدة الشعب المختار ،

اي ان اليهود وحدهم شعب اختاره الاله دون سائر الشعوب وألزمه بشريعة يتعامل بها فيما بينهم ، ولا يلتزم بها مع الاخرين ، وكل شيء في العالم خلق من اجله ، فهو ملك له ، وله تسخير كل ما في العالم من بشر واشياء لمصلحته ، والاله رب اليهود وحدهم « إله اسرائيل » فكل الأميين مطرودون من رحمته ، وكلهم كفرة وانجاس وحيوانات فيجب ان يعاملوا معاملة الاعداء ، واذا كان التياران ظاهرين في التوراة وسائر اسفار العهد القديم ، ولكن التيار الثاني فيها اغلب ، فان سلطان هذ التيار الثاني في التلمود ابرز وافظع ، حتى ليكاد ينفرد بالنفوذ ، وحسبنا من اسفار العهد القديم وفي مقدمتها التوراة عقيدة الشعب المختار ، وحسبنا من التلمود عقيدة ان العالم لم يخلق الا من اجل اسرائيل The World Was Created only For Israel » ص ١٥٣ «

ومع ذلك لا يختفي التيار الاول وهو الحقيقي الانساني لا في اسفار العهد القديم ، ومن اعظم ممثليه النبي عاموس الذي كان يجهل القراءة والكتابة ، وقد دعا الى عبادة آله واحد هو رب العالمين والى الاخاء بين البشر جميعا كما لا يخفي هذا التيار في ثنايا التلمود ، ومن اعظم ممثليه ابن عزاى الذي كان زميل الحبر الكبير عقيبة ، وقد قال ان الأخاء بين الناس هو المبدأ الاساسي في الدين ، ومن آيات سماحته قوله : « لا تحتقر اي امرىء ، ولا تنتقد اي شيء ، فلكل انسان وقته ، ولكل شيء قدره » ونظيره هليل الذي يعقب على وصيته في اللاويين ١٨/١٩ « احب غيرك كنفسك » فيقول « هذا مبدأ اساسي في الدين » وكذلك هليل الذي اعتاد ان يقول « لا تعامل غيرك بما لا تحب ان يعاملك به » هذه كلمة الشريعة وبقيتها مجرد تفسير » .

وقدنشر دانييل بومبرج Daniel Bomberg التلمود البابلي لأول مرة في فينيسيا ١٥٢٠م ـــ ١٥٢٣م في إثنى عشر مجلدا من القطع الكبير وأعيد طبعه مراراً ، كما نشر دانييل بومبرج أيضا التلمود الفلسطيني أو تلمود القدس لأول مرة عام ١٥٢٣م ـــ ١٥٢٤م في فينيسيا في مجلد واحد من القطع الكبير وفيما بعد نشر في كراكوف Cracow ١٦٠٩م وفي كروتوشين Krotoshin

عام ١٨٦٦م وقد صدرت حديثاً طبعة بها تعليقات كثيرة في مدينة ڤيلنا Vilna عام١٩٢٢م .

ولولا تسلط التيار العنصري لكان التلمود من اعظم مفاخر اليهود مهما يكن مقدار ما استعاره من مأثورات الامم الاخرى لأنهم قد اختاروا هذه الثقافة ودونوها فحفظوا لها الحياة ، و « اختيار الانسان بعض عقله » كما قيل ، بل ان التلمود — مع كل علاته ليعد من ذخائر التراث الانساني الذي تفخر به الانسانية ، ان كانت تنكر كل ما فيه من آثار التيار العنصري ، ولا تستبقيه الا ليدرس كما تدرس الأمراض النفسية التي تبتلى بها الشعوب أحيانا ولتتحدر آثاره على أهله في معاملة بعضهم بعضا أو معاملة الاخرين ، وقد استنكرت المسيحية هذا التيار بين اليهود منذ المسيح حتى اليوم ، وكذلك استنكره الاسلام ، وينكره كل من يشعر بالاخوة الانسانية وكرامتها .

ونحن اليوم احوج ما نكون الى دراسة التراث اليهودي ولو اجمالا ، لاننا اليوم نواجه الصهيونية العالمية بكل حولها وحيلها،وجذورها التاريخية تستند على التيار العنصري في التلمود قبل التوراة أو اكثر منها . ثم ان التلمود حوى كثيرا مما دخل في تراثنا الاسلامي ، واتخذنا له « الاسرائيليات » عنوانا ، وهذه الاسرائيليات اوسع في تراثنا مما عرفناه حتى الان ، ولا يظهر مداها- خيرها وشرها-الا بدراسة التراث اليهودي ، ولاسيما التلمود على ان تكون الدراسة من وجهة النظر التاريخية الحديثة ، لا من الوجهة التقليدية التي سار عليها علماؤنا السابقون .

محمد خليفة التونسي

أولاً : الانسان

١ ــ حين خلق الله الانسان أخذ ترابا من جانب القدس ومن أربعة أركان العالم ، ونفخ في منخريه نسيم الحياة .

٢ ــ حين أعلن الأحد القدوس ــ تبارك اسمه ــ قضاءه على آدم بهذه الكلمات « ستخرج الأرض لك الشوك والحسك » انهمرت الدموع الحارة من عيني آدم ، وصاح « ياسيد العالم ، هل يتحتم أن آكل أنا والحمار من مذود واحد ؟ » ولكن حين أضاف الرب « ستأكل خبزك بعرق وجهك » هدأ آدم .

٣ ــ كان للربي يوحانان بن زكاى خمسة ــ حواريين : « اليعيزر Eliezer ، ويوسى Jose ويشوع Joshua ، وشمعون Simon واليعازر Eleazer قال لهم المعلم مرة « أنصتوا ، وأخبروني عن اسم الخير الاعظم الذي ينبغي ان يجاهد الناس من اجله ؟ » .

فقال اليعيزر « العين الخيرة : رغبة الخير للاخرين »

وقال يشوع « الصديق الخير »

وقال يوسى « الجار الخير »

وقال شمعون « الفطنة »

وقال اليعازر « القلب الخير »

حيئذ قال المعلم : « لقد امدنا اليعازر بافضل جواب لان القلب الخير يحوى كل ما هو خير »

٤ ــ يمكن ان تتضح خصائص شخصية المرء في ثلاثة أشياء : في كأس خمرة ، وكيس نقود ، وعند غضبه .

٥ ــ لا تحتقر أحدا ، ولا تظن شيئا مستحيلا ، فلكل امرىء زمانه ،

ولكل شيء مكانه .

٦ — كان الربى اليعيزر بن شمعون يركب ذات مرة بإزاء شاطىء نهر ، وهو يشعر بزهو بهيج ، إذ كان قد خرج للحظته « لفوره » من قاعة الدرس ، حيث رفع قدر نفسه بتعليمه . ولقيه حينئذرجل مشوه الخلقة فحياه في لطف ، ولكن الرابى اليعيزر لم يرد التحية ، بل قال له في غطرسة « ياللك من وسيم ، هل كل مواطنيك على شاكلتك ؟ » فأجابه الرجل المجهول « لا أعلم ، ولكن اتجه الى السيد الذي خلقني ، وقل له«ماهذا الوحش المرعب الذي خلقته ؟»

عندئذ ادرك الرابى خطأه فترجل أمام الرجل ، وسأله الصفح ، ولكن الرجل المتألم مضى في طريقه ، فركب الرابى خلفه حتى وصل الى منزل الرجل ، ورجاه ثانية أن يصفح عنه ، فما كان من الرجل المتألم — طوعا لالحاح جيرانه إلا أن رضي عنه ، وقال له « قد عفوت عنك على شرط أن لا تعود لمثل هذه القالة ، فأسرع الرابى الى قاعة الدرس ، وقال « على الانسان أن يكون متواضعا كالقصب ، لامتعاليا كالأرز »

٧ — ذات مرة ، سخرت احدى الاميرات الامبراطوريات في روما من الرابى القزم يوشع بن حنانيا بهذه الكلمات « لباب غنى بالحكمة في قشرة قبيحة » فسألها الرابى اين يضع والدها الخمر ، فاجابته « في جرار من الطين » فقال لها « كيف؟ ألا ينبغي ان يضع الامبراطور خمره في اوعية ذهبية » فوافقته الاميرة ، وامرت عبيدها ان يضعوا الخمر في جرار ذهبية ، ولكن بعد فترة وجيزة صار طعم الخمر حامضا . فلما قابلته الأميرة قالت له « لقد قدمت لى نصيحة سيئة » فقال لها « إنها لم تكن إلا جوابى على سخريتك بى : لباب غنى بالحكمة في قشرة قبيحة »

٨ — كم بذل آدم من جهود قبل أن يأكل ولو كسرة من الخبز . لقد كان مضطرا أن يحرث بنفسه ، وأن يبذر ، وأن يحصد ، وأن يجمع الحزم ، وأن يدرس ، وأن يذرى ، وأن يعجن ، وأن يخبز ولكنى اجد خبزى وأنواعا كثيرة فاخرة من الطعام والشراب دون عناء كثير .

وكم من جهود كان على آدم ان ينفق ليحصل على ثوب واحد . لقد كان

مضطرا أن يجز الصوف ، وأن يقصره ، وأن يغزله ، وأن ينسجه ، وأن يصبغه ، وأن يفصله ، وأن يخيطه ، ولكنى أجد ملابسى معدة ، وليس على إلا أن أرتديها .

ثانيًا : العالم والحياة :

١ ـــ على ثلاثة أشياء يقوم العالم : على المعرفة ، والعبادة ، والاحسان

٢ ـــ على ثلاثة أشياء يقوم العالم : على الحق ، والصدق ، والسلام .

٣ ـــ هذا العالم دهليز المستقبل فلتعد نفسك في الدهليز ، فيمكنك إذن أن تدخل القصر .

٤ ـــ ساعة واحدة من المعرفة والأعمال الصالحة في هذا العالم أعظم بركة من كل متع العالم المستقبل .

٥ ـــ الضيف الوفى ـــ ماذا يقول ؟ « كم أجهد رب الدار نفسه ! كم خمر(١) وكم لحم ، وكم خبز ، قدم إلى ! وكل شيء من أجلي . والضيف الكنود ـــ ماذا يقول ؟ لماذا قدم رب الدار كل هذه الجهود ؟ لماذا هذا الخمر الغزير ، وهذا اللحم الكثير ، وهذا الخبز الوفير الذي قدمه ؟ وإنما كل شيء فلنفسه خاصة .

٦ ـــ منذ عهد بعيد اختلفت مدرسة هليل Hillel ومدرسة شماى Shammai في قيمة الحياة . فأكدت أحداهما أن « الوجود أفضل من العدم » وأكدت الاخرى أن « العدم أفضل من الوجود ».. وأخيرا اتفقتا كلتاهما على أن « العدم أفضل من الوجود » ولكن ما دام الانسان قد خلق فعليه أن يكرس نفسه للاعمال الصالحة .

٧ـــ حين أتم الربى مير Meir درسه على سفر أيوب Job بدأ يقول « نهاية الانسان أن يموت ونهاية الحيوان أن يقتل ، فكلاهما يسعى ليلقى الموت . طوبى لمن يجاهد سعيا وراء التعلم ، ولمن يرغب أن يؤكد حسن النية

«١ » جرت عادة كثير من الشعوب قديما وحديثا ـــ ان يقدم رب الدار الى ضيفه الخمر اكراما له ، ولكن الخمر ـــ كما نعرف ـــ محرمة في الاسلام .

عند خالقه ، ولمن يفوز بسمعة طيبة لنفسه ، وبسمعة طيبة يعبر من الدنيا ، من اجله يقول الواعظ في حكمته :

« السمعة الطيبة أفضل من الدهن الطيب ، يوم الموت أفضل من يوم الولادة » « الجامعة ١/٧ »

٨ — قال الرابي عقيبا والرابي طرفون : « إذا جلسنا في قاعة القضاء فإن عقوبة الموت لن تنفذ »

٩ — كل شيء مقدر ، والارادة مع ذلك حرة . وبالعناية ينتظم العالم ، وكل شيء مع ذلك يعتمد على الاعمال .

١٠ — يكون الناس كعشب الحقل ثم يذبلون

١١ — حياة الانسان متنقلة ، كظل الطائر خلال طيرانه

١٢ — الحسد، والترف، والطموح تقصر العمر

١٣ — الحقد، وحدة الطبع، وعداوة البشر تعجل بالموت

١٤ — ثلاث ليست واحدة منهن حياة حقيقية : حياة صاحب الطبع الحاد ، وحياة صاحب القلب المرهف ، وحياة صاحب القلب الغليظ .

١٥ — أربعة هم أشباه الموتى في أجساد حية : الفقير ، والأعمى والابرص ، والعقيم .

١٦ — ثلاث ليست ايهن حياة حقيقية : حياة من يعيش على خبز الصدقة من جاره ، وحياة من تنغصه آلام بدنه ، وحياة من تستعبده امرأته .

١٧ — العالم مظلم أمام من يعيش على خبز الصدقة من جاره

١٨ — لا أحد يموت ونصف رغباته قد تحقق .

١٩ — كل شيء يعطى بضمان ، وهناك شبكة ممدودة لكل الاحياء ، الخيمة مفتوحة ، والتاجر يقرض . الكتاب منشور واليد تسجل ، وكل من يرغب قرضا فليات ويقترض . والمحصلون يطوفون دائما ليقتضو الدين من المدين بمعرفة منه أو دون معرفة ، وهم شهود عدول على الدين ، ولكن هناك حكما عادلا وكل شيء معد لوجبة الطعام .

٢٠ ـــ لأن يقتلك انسان خير من أن تقتل الاخرين . إن دمك ليس أشد حمرة من دم جارك .

٢١ ـــ لتكن أنت المشتوم ولا تكن الشاتم . لتكن من المظلومين ولا تكن من الظالمين . ارجع الى الكتاب المقدس ، فما أصاب الظلم طائراً كما أصاب الحمامة ، لهذا اختارها الرب لتقدم على مذبحه . البقر تصطادها الاسود ، والغنم تصطادها الذئاب ، والمعز تصطادها النمور « ٢ » وقد قال الرب « قدم ذبيحة الى ، لامن الحيوانات التي تفترس ، بل من الحيوانات التي تُفترس »

٢٢ ـــ ليس أحد بمسؤول عن الكلمات التي يشكو بها أحزانه .

٢٣ ـــ واحد يأكل، وآخر يردد الشكر .

٢٤ ـــ من يحتشم فليس سهلا ان يرتكب خطيئة ، هناك فرق بين من يحتشم امام نفسه ، ومن لا يحتشم الا امام الاخرين ، فمن علامات الخير في الانسان ان يكون قادرا على الاحتشام . خشوع واحد في قلب انسان افضل من جلده كثيرا بالسياط .

٢٥ ـــ ان كان اسلافنا كالملائكة فنحن كالبشر ، وان كانوا كالبشر فنحن كالحمير .

٢٦ ـــ الجنود يقاتلون ، والملوك هم الابطال .

٢٧ ـــ « ونظر الله كل ما عمله فرآه حسنا جداً » « التكوين ٣١/١ » « ٣ » و « خلق الله كل شيء في موسمه المناسب ». « الجامعة ٢/٣ » « ٤ »

« ٢ » كان الافضل ان يجمع الكاتب كلا من االنوعين على حده ، اكلة الحشائش واللحوم فيقول : البقر والغنم والمعز تصطادها الاسود والذئاب والنمور ولكن عبارته الطف وقعا في السمع والذهن .

« ٣ » هذه الاشارة وامثالها في كتابنا هنا ـــ اسم ورقمان بين قوسين تشير الى موضع النص المقتبس في احد اسفار الكتاب المقدس عند اليهود ، فالاسم للسفر ، والرقم الدال للاصحاح فيه ، والرقم الثاني للآية في هذا الاصحاح ، فمعنى الاشارةهنا « سفر التكوين ـــ الإصحاح الاول ، الآية ٣١ »

« ٤ » هذه الاشارة في الاصل التلمودي ـــ تنقصها الدقة ، وكان ينبغي ان تكون هكذا « الجامعة ١/٣ » فالعباره المقتبسة هنا اجدر ان تكون ترجمة ـــ بتصرف ـــ للآية الاولى ، لا للآية الثانية من الاصحاح الثالث في سفر الجامعة ، وهذه ترجمة الايتين عن النسختين العبرية والانجليزية .

«ب» : ١ ـــ لكل شيء موسم ، ولكل أمر تحت السماوات وقت :

٢ ـــ وقت للولادة ، ووقت للموت ، ووقت للغرس ووقت لاقتلاع ما غرس .

وهذا يعنى أنه خلق عوالم فوق عوالم ، وحطمها واحدا بعد الاخر ، حتى خلق هذا العالم « ٥ »، وحيئذ قال « هذا يرضيني ، وأما غيره فلا » « في موسمه المناسب » هذا يعنى « لم يكن مناسبا خلق هذا العالم حتى الان »

٢٨ ـــ هذا العالم يشبه خانا(٦) على الطريق ، وأما العالم الآتى فهو البيت الحقيقي .

٢٩ ـــ أهل الحق ، لاراحة لهم في هذا العالم ولا في العالم الآتي ، فهم كما تقول الاسفار المقدسة يمضون من قوة Host الى قوة ، ومن جهاد الى جهاد ، وسيرون الله في صهيون« ٧ » « المزامير ٧/٨٤ »

٣٠ ـــ لا مطعم في العالم الآتى ولا مشرب ، ولا عشق ولا عمل ، ولا حسد ولا حقد ولا شحناء . أهل الحق سيجلسون وعلى رؤوسهم التيجان ، وهم يمجدون في بهاء جلال الله .

« ٥ » هذا تصور للخلق عجيب وضيق ولكنه لا يخلو من براعة ، إذ يبين انه قد سبقنا هذا العالم مسودات له ، ثم حدثت التنقيحات طلبا للابداع .

« ٦ » الخان : : الفندق مأوى ينزله العابرون لفترة قصيرة ، وليس مكانا للسكنى الدائمة كالبيت .

« ٧ » صهيون : تعنى هنا العالم الاخر .

ثالثاً : الشباب والشيخوخة

١ ــ الشباب إكليل من الورد ، والشيخوخة إكليل من الأشواك .

٢ ــ الأطفال يودون أن يكونوا كبارا ، والكبار يودون أن يكونوا أطفالا(٨) .

٣ ــ واحسرتاه على ما يضيعه المرء ولا يسترده : الشباب(٩) .

٤ ــ الكبار للمجلس والشباب للحرب(١٠) .

٥ ــ من يملك الحكمة فهو كبير(١١) .

٦ ــ انتقاض الكبير بناء ، وبناء الشباب انتقاض .

٧ ــ كن لبقا مع ذوي الرياسات ، وكن انيسا مع الشباب .

٨ ــ القلب الذي يحب يكون شابا على الدوام .

٩ ــ خطايا الشباب تجعل طلعة المرء بغيضة في سن الشيخوخة الطاعنة .

---

(٨) شبيه بهذا المطلع قصيدة تأملية دقيقة لاستاذنا العقاد في أحد دواوينه الأخيرة ، ننقل هنا بعض أبياتها عن الذاكرة :

صغيـــر ود لـــو كـــبرا   وشيـــخ ود لـــو صغـــرا

ورب المال في ضجـــر   وفي ضجـــر من الفقـــرا

ثم يختم القصيدة بهذا البيت وهو يتضمن سؤالا حائرا عسير الجواب :

فهـــل حاروا مع الأقـــدا   ر أم هم حيروا الأقـــدار

(٩) شبيه بهذا قول شاعرنا الحكيم المتنبي وهو يتحسر على الشباب ! وما ماضي من الشباب .

(١٠) المجلس Counsel أو كما نقول الندوة (حيث كان يجمع شيوخ قريش في مكة قبل الاسلام) أو كما نقول مجلس النواب ، ومجلس الشيوخ ، ومجلس الأمة . والمعنى ان الكبار في أي جماعة يصلحون لأن يجمعوا لتدبير الأمور العامة ، فيتشاوروا ويشترعوا القوانين والنظم والخطط ولكنهم لا يصلحون للحرب . وأما الشبان فهم للحرب أو التنفيذ بعامة ، ولكنهم لا يصلحون لتدبير المصالح العامة وأمور السياسة والحكم والادارة .

(١١) المعنى ان الحكمة لا تقاس بالسن ، وقريب من هذا قول المتنبي :

ومـــا الحداثـــة من حلـــم بمانعـــة   قد يوجـد الحلـم في الشبـــان والشيب

رابعًا: الحظ والتعاسة

١ ـــ الحظ عجلة سريعة الدوران.

٢ ـــ نجوم السماء تبكي مع من يبكي خلال الليل .

٣ ـــ المحن تكبح أعنة الأهواء ، وتهذب قلوب الناس .

٤ ـــ من احرز قلبه السلام من الله مشى مطمئنا ، مهما تنبح خلفه كلاب الهموم .

٥ ـــ الهموم لا تصيب الرجل المستقيم ، فإن ملائكة الله تحمل له البركة .

٦ ـــ المحن تكشف عن قوتنا الداخلية ، والنجاح يوهن طبيعتنا ، ويضعف ارادتنا .

٧ ـــ لا تفتح قلبك للهم ، فإن الهم قتل كثيرين .

٨ ـــ لا تتلهف على غد ، فإنك لا تعلم ماسيأتي به اليوم .

٩ ـــ من كان في سلته بعض الخبز وهو يقول (ماذا سآكل غدا ؟) فإنه من ذوي الايمان القليل .

١٠ ـــ ثلاثة أشياء تنير الحياة : المرأة الجميلة ، والمسكن الجميل والرياش الجميل .

١١ ـــ ثلاثة يجلبون لأنفسهم التعاسة : من يقرض ماله دون وثيقة(١٢) تشهد به ومن يترك لامرأته ان تسيطر عليه ، ومن يسلم نفسه طوعا للعبودية . وما المراد بالاخير ؟ هو من يكرس لاطفاله كل جهوده في حياته .

١٢ ـــ كان أحد الحكماء يسير في السوق فاذا بالنبي ايليا يصادفه فسأله عمن ينجو من هذا الحشد الكبير فأشاد النبي اولا الى مخلوق غريب المنظر ،

---

(١٢) يأمرنا القرآن بكتابة الديون قال تعالى « يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا .. » (البقرة/٢٨٢) .

بواب في سجن ، لأنه كان رحيما بسجنائه ، وأشار ثانيا الى عاملين من العامة يسيران في الزحام ، ويتناجيان في بهجة ، فاندفع الحكيم اليهما بإلحاح وسألهما عن أعمالهما البارة ، لكنهما أجاباه في دهشة بالغة : « لسنا الا عاملين فقيرين نعيش من مهنتنا ، وكل ما يمكن أن يقال فينا هو أننا دائماً في نعمة حسنة ، وأننا طيبان . وإذا وجدنا أحدا تبدو عليه الكآبة تعلقنا به وآنسناه وأفرحناه ، حتى ينسى حزنه ، واذا جاءنا أن خصاما وقع بين اثنين بادرناهما فتحدثنا إليهما ، وأصلحنا بينهما ، حتى يعودا صديقين . وهذه هي حياتنا كلها » .

خامسًا: الغنى والفقر

١ ــ القناعة هي الغنى الحق(١٣) .

٢ ــ من الغني ؟ هو من ينعم بالطيبات .

٣ ــ المال يقيم المرء على قدميه (يملؤه ثقة بنفسه)(١٤) .

٤ ــ الفقر يطارد الفقراء(١٥) ، والثروة تطارد الأثرياء .

٥ ــ اذا فرغ الصندوق من المال هاجت المشاحنات .

٦ ــ قالت حمامة نوح لله « لتجعل طعامي مرا كورقة الزيتون من يديك(١٦) ، ولا تجعله حلوا كالشهد من يدي الانسان .

---

(١٣) قريب منه في مأثورنا الاسلامي (القناعة كنز لا يفنى) وأبلغ منها الأثر المشهور (ليس الغنى عن كثرة العرض) ولكن الغنى غنى النفس ، واحساس الغنى في النفس قرين القناعة فيها .

(١٤) قريبا منه في بيان فائدة المال ــ قول الشاعر العربي :

ان الدراهم في المواطن كلها تكسوا الرجال مهابة وجلالا

فهي اللسان لمن أراد فصاحة وهي السلاح لمن أراد قتالا

(١٥) نظيره قول ابن دريد في مقصورته المشهورة « ان الشقاء بالشقي مولع » وفي رواية « ان الشقي بالشقاء مولع » .

(١٦) في هذه الفقرة إلتفاتة الى حادثة وقعت لحمامة نوح عليه السلام ــ خلال المهمة التي كلفها بها حين أراد ان يكشف عن مدى تراجع الطوفان عن الأرض ، وارسل الغراب فخرج مترددا حتى انشقت الأرض ثم ارسل الحمامة من عنده ليرى هل قلت المياه عن وجه الأرض . فلم تجد الحمامة مقرا لرجلها فرجعت الى الفلك ، لأن مبلغها كانت وجه الأرض ، فمد يده وأخذها وأدخلها عنده الى الفلك . فلبث أيضا سبعة أيام أخر ، وعاد فأرسل الحمامة من الفلك ، فأتت الحمامة عند المساء وإذا ورقة زيتون خضراء في فمها ، فعلم نوح ان المياه قد قلت عن الأرض ، فلبث أيضا سبعة أيام أخر ، وأرسل الحمامة فلم تعد ترجع أيضا . (التكوين ٨/٧ــ٢) نقلا عن الترجمة العربية . ويلاحظ اولا : ان الحمامة وورقة الزيتون كانا رمزين للسلام قديما ، ولم يزالا كذلك في آداب الغربيين ، وقد نقلنا هذه الصورة عنهم فاستعملناها في الأدب والرسم عن فهم حينا ودون فهم أحيانا ، لأنها ليست من تراثنا الثقافي . ويلاحظ ثانيا : ان كل هذه التفصيلات المنقولة هنا عن التوراة لم يذكر شيء منها في القرآن الكريم ولو تلميحا ، لأن القرآن في أسلوبه الارشادي المحكم المجمل ــ لا يعنى الا بمواضع العبر في كل ما يشير إليه من قصص

٧ ــ لتهتم بأطفال الفقراء ، فمنهم تظهر المعرفة .
٨ ــ ليس الفقير الحق الا الجاهل .
٩ ــ البيت الذي لا يفتح للفقير سيفتح للطبيب(١٧) .
١٠ ــ احترم ابناء الفقراء فإنهم سينالون بالمعرفة البهاء (١٨) .
١١ ــ اللصوصية تطارد اللص ، والفقر يطارد الشحاذ .
١٢ ــ اذا سقط الثور كثر الجزارون(١٩) .
١٣ ــ ينبغي للمرء أن يحترم الفقير
١٤ ــ أكل البصل والجلوس في الظل أفضل(٢٠) فلا تأكل الوز ودواجن الدجاج اذا جعلت قلبك مشغولاً معك .
١٥ ــ اذا حلت نهاية انسان فكل واحد يعلو عليه(٢١) .

الغابرين ، ولا يعرضها عرض القصاص أو المؤرخين كما هو شأن التوراة . وأسلوب العرض القرآني عام في قصص الأنبياء وغير الأنبياء ، على اختلاف مواردها وأشخاصها وأحداثها ، وهذا الفرق ادق الفروق بين القرآن الكريم وغيره من الكتب المقدسة ، وهو من أقوى الأدلة على تفرده بأسلوبه الذي لا يساويه اسلوب اي كتاب مقدس أو غير مقدس .

(١٧) قريب من هذا ــ قول الشحاذين في مصر ــ وهم ينادون للسؤال « حسنة قليلة تمنع بلايا كثيرة » .

(١٨) قريب منه قول شاعرنا الجاهلي (وكثيرا ماكانت السيدة عائشة أم المؤمنين تردده) :

جاور ضعيفك لا يحربك ضعفه ... يوما ، فتدركه الحوادث قد نما

وأقرب منه الشطر الأول من قول أحد المتأخرين :

العلم يرفع بيتا لا عماد له ... والجهل يهدم بيت العز والكرم

(١٩) المعنى ان المرء اذا فشل او خاب عمله كثر خصومه فيكون عرضة للاعتداء او اللوم أو العيب أو الشماتة ، ويقابل بصورة تامة مثل عامي شائع في مصر (اذا وقعت البقرة كثرت سكاكينها) ، كما تقابله الجملة الأخيرة من هذا البيت لبشار بن برد :

وللناس من يلق خيرا قائلون له ... ما يشتهي ، ولأم المخطيء الهبل

(هبلته امه : فقدته اي هلك) .

(٢٠) أهذا مستطاع ؟ هل يستطيع المرء الخلود الى الراحة والقناعة باليسير تجنبا للناس ؟ وهل اذا تركهم تركوه ، او سالمهم سالموه ؟!

(٢١) اذا ضعف الأسد غلبته الكلاب ، واذا هلك مرحت فوقه الطيور والحشرات .

سادساً، الحكمة والحماقة

١ ـــ من الحكيم ؟ هو الذي يتعلم من كل أحد(٢٢) .

٢ ـــ لحكيمٌ أكثر من نبي(٢٣) .

٣ ـــ اذا قال لك أحد (بحثت عن الحكمة فلم أجدها) فلا تصدقه ، او قال (لم اطلب الحكمة ووجدتها) فلا تصدقه(٢٤) ، أو (طلبتها ووجدتها) فصدقه .

٤ ـــ سبع خصال تزين الحكيم : لا يبدأ الكلام اذا كان في حضرة من هو أكبر منه ، ولا يقطع حديث غيره ، ولا يتعجل في الاجابة ، ويسأل ويجيب كما ينبغي ويتناول الموضوعات واحدا فواحدا وفق نظامها ، واذا سئل عما لا يعلم قال (لا أعلم) ويعترف باخطائه وعلى عكس ذلك كله يكون الأحمق .

٥ ـــ بماذا يشبه الرجل اذا كان حكيما أكثر مما هو فاضل ؟ يشبه شجرة كثيرة الفروع قليلة الجذور فاذا هبت عاصفة عاتية اقتلعتها واسقطتها (٢٥) .

---

(٢٢) أعلى من ذلك أن يقال « الحكيم هو من يتعلم من كل شيء ، حتى الحيوان ، والجماد ، فهكذا يتعلم كل موهوب عبقري ، وهو يطالع سفر الكون مفتوحا ، فيحسن قراءة جمله وكلماته وحروفه ، ويثق بها أشد مما يثق بتعليم الاخرين ، لأنها الأصل وغيرها صورة له صحيحة أو باطلة .

(٢٣) هذا قول عجيب من رباني يهودي ، ويزيده عجبا ان يرد في التلمود وهو كتاب دين يلي التوراة في منزلته عند المؤمنين به وهم معظم اليهود ، ويلاحظ ان اكبر مفاخرهم كثرة انبيائهم ، وان حكماءهم قلة ، ومعظمهم لا ينفون في الحكمة مبلغ حكماء الأمم الأخرى .

(٢٤) قد يكون هذا القائل صادقا ، اذ لا يدرك الحكمة ـــ مهما يلح في طلبها ـــ الا اهلها المستعدون .

(٢٥) تكرر ذلك في لفصل التاسع/٢٧ وعنوانه التربية والتعليم وهو جدير بالموضوعين

٦ ــ اعتاد رابا Raba ان يقول (التقوى والأعمال الصالحة لابد أن تكون ثمرة الحكمة)(٢٦) .

٧ ــ يقول الرابي يوحانان (في أشارة الى سفر التثنية ١٢/٣٠) ليست الحكمة في السماء(٢٧) ــ بمعنى انها لا توجد بين المتكبرين ، ولا وراء البحر ــ بمعنى انها لا توجد بين المُتسببين والتجار الرحالين(٢٨) .

---

(٢٦) هذا الرأي أصوب من الرأي القائل : (ان الفضيلة ثمرة المعرفة) وهو رأي ينسب لكثير وأشهرهم به سقراط .

(٢٧) العبارة التي يشير الحاخام يوحانان اليها ــ في سفر التثنية ــ تختص ببعض وصايا الله لموسى عليه السلام وهذه ترجمة النص الذي وردت فيه (١١ ــ ان هذه الوصية التي اوصيك بها اليوم ليست عسرة عليك ولا بعيدة منك . ١٢ ــ ليست هي في السماء حتى تقول من يصعد لأجلنا الى السماء ويأخذها لنا ويسمعنا إياها لنعمل بها . ١٣ ــ ولا هي في عبر البحر حتى تقول من يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويسمعنا إياها لنعمل بها . ١٤ ــ بل الكلمة قريبة منك جدا في فمك وفي قلبك لتعمل بها » (التثنية ١١/٣٠ــ١٤) ــ عن الترجمة العربية للكتاب المقدس .

ويلاحظ ان الايات تفسر نفسها بنفسها ، وأما تفسير الحاخام ــ حبا في الحذلقة ــ ان الحكمة ليست في السماء ولا وراء البحر ــ ثم يمعن في الحذلقة ــ بأنها لا توجد بين المتكبرين ولا بين المتسببين والتجار الرحالين ، وهذا تفسير يدل على التفات بارع لأنه لا مكان للحكمة بين هذه الطوائف التي أشار الحاخام اليها لانشغالها غالبا بصغائرها عن طلب الحكمة وهذا التفسير غير دقيق لانحرافه بعيدا عن مقاصد الآيات الواضحة ، كما يدل السياق كله وهذا الشطط في تفسير الكتب المقدسة داء قديم شائع بين كثير من مفسريها على اختلاف الأديان ، والعوام يغرمون به لبراعته لا لصحته ، ومثل هؤلاء الشراح يتلون بالخفة والسطحية والقناعة باللمح دون التعمق والاستيعاب ، كما يتلبسهم شيطان الفيهقة وحب الأغراب والولع بالبدع ولو كانت تافهة او خاطئة .

(٢٨) ترجمنا trader هنا بكلمة « متسبب » وmerchant بكلمة تاجر . والمتسبب ــ في مصطلح العامة المصرية ــ هو التاجر الصغير الذي يتجول في الأسواق والطرقات ببضائعه القليلة الزهيدة .

فهو يأخذ بالقليل من (اسباب) تكسبه في التجاره او يأخذ بالقليل من أسباب المعاش الصغيرة التي يجلبها للناس أحيانا ، فالكلمة مأخوذة من (السبب) وقد يسمى (المتكسب) اخذا من الكسب وأما التاجر فصاحب الثروة الكبيرة والسلعة الغالية أو الكميات الضخمة منها في التجارة . وقد يتاجر أحيانا بين البلدان او الأقطار المتباعدة ، ويعبر بتجارته البحار ، وهذا هو التاجر الرحال traveller merchant

٨ ـــ جاء أمي heathen(٢٩) ذات مرة الى شماى Shammai وقال له « سأكون يهوديا على شرط ان تعلمني الشريعة خلال وقفتي على قدم واحدة » فأخذ شماي هراوة ، وطارد هذا الساخر(٣٠) ثم ذهب الأمي الى

---

(٢٩) يمكن أن نترجم heathen بكلمة (وثني) ولكنا اثرنا كلمة (امي) اي غير يهودي لأنها أسلم فنحن لا نعلم عن الرجل هنا الا انه لم يكن من جماعة اسرائيل وانه لا يدين باليهودية ويلاحظ ان اليهود يقسمون الناس قسمين يهودا ، وأمما وقد جرينا في ترجمتنا لكتاب (الخطر اليهودي : بروتوكولات حكماء صهيون) على استعمال (امميين) نسبة للامم (اي غير اليهود) كما استعمل العرب كلمة (الانصاري) نسبة الى الأنصار و(الاخباري) نسبة الى الاخبار ، والشعوبيين نسبة الى الشعوب والنسبة الى الجمع كثيرة شائعة في العربية ولم ننسب الى المفرد فنقول (أمي) كما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وسائر كلام العرب وحوالي ظهور الاسلام ، وما عدلنا عن ذلك الا لأنه كلمة (الأمي) قد غلب استعمالها فيمن لا يقرأ ولا يكتب . ويمكن أن تترجم كلمة heathen بكلمة وثني ، لاعتقاد اليهود أن كل من ليس يهوديا فهو وثني ، ولو كان يعبد الله إلها واحدا ، وقد سبقت العقائد التوحيدية الديانة اليهودية وعاصرتها ولحقتها ، وكان كثير من هذه العقائد كالحنيفية انقى توحيدا من اليهودية ، ومع ذلك كان اليهود ولم يزالوا يرمون غيرهم من اصحاب الديانات الأخرى بالوثنية ، وإن كانت عقيدته أصفى وأرق في التوحيد ، كذلك هم ينعتون المسلمين والمسيحيين بأنهم وثنيون مع أن اليهودية ـــ لمن يدرس أسرارها في إمعان واستيعاب ـــ ديانة تخصيص لا ديانة توحيد ، فهم يعبدون الههم « يهوه » لأنه الههم الخاص ، ولا يسمحون لغيرهم بعبادته ، وكما أن يهوه « إلههم المختار » دون سائر الالهة ، فهم « شعبه المختار » دون سائر البشر . وليست كذلك ديانات التوحيد العالمية التي لا تعترف إلا بأله واحد لكل البشر . وأنقى هذه الديانات توحيدا وارفعها من الوجهة اللاهوتية والفلسفية ، والاخلاقية هو الاسلام الذي جاء بعبادة « رب العالمين » وأنكر كل ما عداه من الأرباب ، وإن كان الاسلام قد رضي بمعايشة سائر الاديان ، واعترف بالحرية الدينية لكل بشر « لا اكراه في الدين » ـــ ولهذا عدلنا الى ترجمة heathen بكلمة أمي ، ولم نترجمها بكلمة وثني ، إذ لا دليل عندنا على أن الرجل الذي سأل الحاخامين اليهوديين كان وثنيا ، والارجح من السياق انه لم يكن يهوديا من حيث العنصر او العرق او الجنس ، فهو إذن أمي ، أي ليس من الجماعة اليهودية .

(٣٠) يلاحظ من بقية القصة ان الرجل الأمي لم يكن ساخرا ، كما فهم الحاخام والراوي من بعده ، ولكن جهل الحاخام شماي ، وضيق صدره ، وقصور فكره هو الذي أظهر الرجل كأنه ساخر في نظره ونظر غيره .

هيلل Hillel وسأله السؤال نفسه فقال هيلل « يابني ، لا تعامل جارك بما لا تحب ان يعاملك به . هذه جملة الشريعة ، وكل ما بقي فهو تفسير .

٩ ـــ قال الربي عقيبا (احب جارك كنفسك) «٣١» هذه اعظم وصايا الكتاب (اللاويين ١٨/١٩)

١٠ ـــ أضاف ابن عزاى (أنا أعرف مالايزال أعظم ـــ وهذا هو كتاب سلالات البشر) «٣٢» (حيث يستدل منه على أخوة كل الناس) (التكوين ١/٥)

وأمثال هذا الحاخام كثيرون بين المعلمين مثلهم مثل الوعاظ الدينيون بين اليهود وغير اليهود ، فهم ـــ اذا عجزوا عن جواب سؤال ، ولو كان موجها اليهم ببراءة ـــ لم يقولوا « لا نعلم » ولم يتجهوا بسخطهم الى أنفسهم لقصورهم بل سخطوا على السائل ، وقد يطاردونه بعد الكراهية ، الى ايذائه بما تسمح لهم نفوسهم ، وعلى وفق ما تتسع له عصورهم ومواقفهم أو تفضي عنه ، وليست العلة في السائل ولا السؤال ، بل هي في جهل هؤلاء وتزمتهم وغرورهم وصلفهم وولعهم بمشاكسة كل من تسبب في الكشف عن قصورهم العلمي او الفكري أو الاخلاقي ، ولو كان ذلك عن طريق سؤال يوجهه صاحبه اليهم ببراءة ، وكل غرضه من الاستفهام المحض ، لا السخرية ولا التطاول .

ويلاحظ هنا أن الأممي لم يكن ساخرا بدليل ان الحاخام هليل عده جادا ، ولخص له الشريعة في جملة واحدة ، وينبغي أن نلاحظ أن اليهود يعدون كل من عداهم وثنيا ولو كان يدين بالتوحيد ، مادام خارجاً عن ملتهم ، وهم يسمون المسيحيين والمسلمين وثنيين .

«٣١» عبارة الاية كلها في الترجمة العربية للكتاب المقدس هكذا « لا تنتقم ، ولا تحقد على أبناء شعبك ، بل تحب قريبك كنفسك » وأما الترجمة الانجليزية ـــ عن العبرية ـــ فمؤداها « لا تنتقم لنفسك ، ولا تحمل أي حقد على أطفال شعبك ، بل تحب جارك كنفسك » وفرق في المعنى بين الجار والقريب ،

«٣٢» (كتاب سلالات البشر) المشار هنا إليه يتضمنه الاصحاح الخامس من سفر التكوين ، والاصحاح كله يذكر تسلسل ذرية آدم الى ظهور نوح وولده سام وحام ويافث وأول السفر عن الترجمة العربية (هذا كتاب مواليد آدم يوم خلق الله الانسان على شبه الله عمله ، ذكر أو انثى خلقه وباركه ودعى اسمه آدم يوم خلق) ومؤدى ذلك كله أن البشر كلهم أحوة كما أشار الحاخام ابن عزاى الذي جاهر بين اليهود بهذا المبدأ الحنيفي النبيل ، وقد اقترن المبدأ وصاحبه كلاهما بالاخر ، واشتهر به أعظم من غيره .

١١ ـــ علم ربى شملاى قائلا (أعطى موسى بنى اسرائيل ثلاث عشرة وستمائة وصية ليطيعوها . ثم جاء داود فاجملها في إحدى عشرة فقد قيل (المزامير ١٥) : (يارب من يقيم في خيمتك ؟ ومن يسكن ربوتك المقدسة ؟ هو يمشى مستقيما ويعمل الحق ؟ ويتكلم الصدق بما في قلبه ولا يغتاب بلسانه ، ولا يفعل سوءا بجاره ، ولايلمز جارا «٣٣» ويكون صاحب السوء بغيضا في عينيه ، ولكن يكرم من يخشى الرب ، من يحلف فيما يضره ولايزور من لايقرض ماله بالربا ولا يأخذ رشوة من برىء . من يفعل ذلك كله فلن يتزعزع أبداً)

ثم جاء اشعياء واستوعبها في ست وصايا (اشعياء ١٥/٣٣ ـــ ١٦) (هو من يمشى بالحق ويتكلم باستقامة ويستنكر الكسب من المظالم ، وينفض يديه من تناول الرشوة ويسد اذنيه عن استماع الذم ؟ ويغلق عينيه عن ردية الشر . انه سيسكن الاعالى ومآمنه حصون الصخرة ، سيعطى خبزه وتكون مياهه آمنه) .

ثم جاء ميخا فضمنها في ثلاث وصايا (ميخا ٨/٦) (انه هداك ـــ ايها الانسان ـــ إلى ما هو صالح ، وماذا يطلب الرب منك الا أن تعمل بالحق ، وتحب الرحمة ، وتسعى في تواضع مع الٰهك) .

وأخيرا جاء حبقوق الذي لخصها في كلمة واحدة (حبقوق ٤/٢) « العادل سيحيا بإيمانه » .

«٣٣» تكررت كلمة (جار) في هذه الجملة وسابقتها ، وقد وردت الجملتان في الترجمة العربية هكذا : (ولا يصنع شرا بصاحبه ، ولا يحمل تعييرا على قريبه) ويلاحظ في هذه الترجمة العربية ان تستعمل الكلمتين (الجار) و(القريب) . مترادفتين (وقد تذكر مكانهما كلمة (الصاحب) كما هنا) وفي هذا الاستعمال نظر ، ولابد من توضيحه ، فهناك فرق بين الجار والقريب في مصطلحنا اليوم ، فقد يكون الجار ذا قربى أو لا يكون ، وقد يكون ذا القربى جارا او لا يكون ، وان كان يلاحظ في المجتمعات ـــ ولا سيما البدوية والريفية حتى اليوم ـــ أن الأقارب يسكنون متجاورين ، فالجار والقريب هنا

١٢ ــ الانحرافات الاخلاقية أشد عقابا من الانحرافات عن الشعائر «٣٤» .

١٣ ــ لا تكن كالعبيد الذين يخدمون سيدهم طمعا في المكافأة بل كن كأولئك العبيد الذين يخدمون سيدهم دون انتظار ثواب«٣٥» .

مترادفان ، وكان بنو اسرائيل أيام بداوتهم يسكنون الخيام في واحد من هذه الأحياء يسمى في الغرب « الجيتو » اي « الحظيرة » ويسمى في مصر « الحارة » فهو مغلق عليهم او محظور اي مخصص لهم وحدهم لا يساكنهم فيه غريب ، فالجار هنا هو القريب ، والقريب هو الجار ، ومعنى كل من الكلمتين هنا هو « اليهودي » وحده . وليست العزلة هنا مكانية بل نفسية دينية اخلاقية قانونية ، فإذا وردت الوصية بالجار أو نحو ذلك فلا يقصد منها غير معاملة اليهودي لليهودي ، وللجار معنى غير القريب في عرفنا الديني والقومي ، وفي لغتنا العربية .

والواجب يدعونا الى ان نتنبه لهذا التساهل ونحوه في الترجمة ، لأنه يؤدي بنا الى الخلط واللبس والضلال في فهم الدين اليهودي ، وفي المعرفة الصحيحة لسلوك أتباعه الذين يلتزمونه في المعاملة ، فهم وقف تعاليم دينهم ــ لا يلتزمون الاخلاق الا بينهم ، ويلتزمون ضدها في معاملة غيرهم من الأمم أو الأمميين او الأميين « ذلك بأنهم قالوا : ليس علينا في الاميين سبيل » كما علل القرآن ذلك .

«٣٤» هذا رأي معظم المسلمين ، لأن الأخلاق متعلقة بحقوق العباد والشعائر متعلقة بحقوق الله .

«٣٥» هذا أعلى ما ارتقى اليه الشعور الجمالي في مجال الأخلاق ومجال الدين : فعل الواجب لأنه واجب وكفى، كما يرى ذلك الفيلسوف الالماني الكبير عمانويل كانت Kant أو فعل الخير لمجرد أنه خير.وقريب من هذا قول شاعرنا المعرى في لزومياته :

« فلتفعل النفس الجميل لأنه خير وأفضل ، لا لأجل ثوابها »

ومن أقدم أصحاب هذا المذهب بين فلاسفة اليونان ، زينون الرواقي (٣٣٦ ــ ٢٦٤ ق.م) اذ روى انه قال « ينبغي لكل أحد أن يتمسك بالفضيلة لذاتها ، لا لما يترتب عليها من ثواب ، فإنها بذاتها كافية في اسعاد المرء ، فمن تمسك بها تمتع بكمال الراحة ، ولو أحاط به التعب ، وليس ينفع الا ما كان صالحا ، ولا نعم في الاثم » .

ونحن نؤمن بهذا الرأي كل الايمان ، ونحرص بكل طاقتنا عليه ، وقدرددناه في رباعياتنا « رباعيات التونسي » أكثر من مرة ، لامتلاء وعينا به ، ونرى ان كل رأي سواه في الاخلاق يهدم من أسسها بقدر بعده عنه ، وكل مايدعي غيره من دواعي التمسك بالفضيلة فهو علالات كسائر الأطفال وأشباههم من العوام ، وان كانت معهم مفيدة ومقنعة

١٤ ــ كن قويا كالنمر خفيفا كالنسر ، سريعا كالغزال ، مقداما كالأسد«٣٦» لتحقق ارادة أبيك في السماء«٣٧» .

١٥ ــ نية الخير وعمل الخير سواء عند الله«٣٨» .

١٦ ــ خطيئة تقترن بحسن نية أفضل من عمل صالح بدافع سيء .

١٧ ــ من يكرث نفسه للمعرفة بدافع نبيل تكن معرفته بلسما للحياة ، ولكن المعرفة سم قاتل عند من يجاهد في سبيلها بدافع خسيس .

١٨ ــ لكن على المرء دائما أن يكرس نفسه للمعرفة ولو بدافع خسيس ، فسيأتي وقت يحبها فيه ، فيسعى لها بدافع نبيل«٣٩» .

١٩ ــ اعتاد الرّبيّون في « يمينه » Jamnia أن يقولوا : أنا ومخلوقات الله وجاري كذلك أنا أعمل في المدينة وهو يعمل في الحقل علي أن أذهب في الصباح وكذلك هو . اعتز بعملي كما يعتز بعمله . هل ينبغي لي ان أزهو بأني اقدر منه على انجاز كبار الأعمال (من أجل المصلحة العامة) ؟ ليس هناك كبير ولا صغير مادامت النية خالصة للخير وحده«٤٠» .

ولازمة وملزمة .

«٣٦» هذا ما اشتهر قديما وحديثا بين الناس ولكن العارفين من العلماء والرحالين والصيادين الذين خبروا السباع ودرسوا طبائعها يعرفون ان الأسد ليس أشد السباع إقداما بل يفوقه في ذلك بعضها كالنمر .

«٣٧» نقله من أوسع النقلات في تاريخ تطور الدين اليهودي ان يدعى الله أبا ، للايمان بحبه وحمايته والتوراة وسائر كتب اليهود المقدسة تزدحم بالعبارات التي تصف الله بالجبروت وحب النقمة والحرص على التنكيل بعباده لأهون الذنوب أو دون ذنب وما الى ذلك من الصفات البشرية المتخلفة ، تعالى الله عما يقولون ، فصفات السلطة فيه ــ عندهم ــ أغلب من صفات الرحمة . في أرق مابلغوه من تنزيه الله ، ولم يبلغوا مرتبة الأبوية به عندهم في ارق اطوار دينهم الا بظهور المسيح عليه السلام ، فهو يقرب نفسه وتلاميذه الى الله بقوله « ابي » و«ابيكم » الذي في السماء .

«٣٨» قريب من هذا ماجاء في الأثر : « الدال على الخير كفاعله لا ينقص ذلك من أجره شيئا » .

«٣٩» قريب منه القول المنسوب الى الامام الغزالي « طلبنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون الا لله » .

«٤٠» هذه الفقرة والفقر الأربع قبلها تدور على محور واحد . هو قيام العمل على

٢٠ ــ العين والقلب رائدا الخطيئة .

٢١ ــ (مبارك أنت في دخولك وخروجك) هذا يعني أن خروجك من الدنيا كدخولك فيها فكما أنك دخلتها بلا خطيئة يرجى ان تخرج منها بلا خطيئة .

٢٢ ــ سأل انطونينيوس ــ ربينا حقادوش **Rabbina Hakadosh** (في الساعة يموت الانسان وينحل جسده ، كيف يستطيع الأحد القدوس تبارك اسمه أن يضعه أمام منصة القضاء) .

(والجسد ــ وهو مقر الخطيئة ــ قد أدركه الفساد) فقال له ربينا (قبل ان تسألني عن الجسد وهو نجس ، أولا لك ان تسألني عن الروح وهي طاهرة .

اسمع هذا المثل (كان لأحد الملوك حديقة جميلة ذات فواكه طيبة ، وقد عين لها حارسين أحدهما مقعد والآخر أعمى . فقال المقعد للاعمى « إني أرى في الحديقة فواكه جميله فاحملني على كتفيك كي نجني ونأكل » ركب المقعد كتفي الأعمى فأخذ الفواكه واستهلكاها .. وبعد فترة جاء مالك الحديقة فسألهما : « اين الفواكه الجميلة ؟ » فأجابه المقعد « وهل لي ساقان فأمشي ؟! » واجابه الأعمى « وهل لي عينان فأرى ؟ » فماذا فعل المالك ؟ أمر المقعد أن يعتلي كتفي الأعمى وحكم عليهما كما لو كانا واحدا وهكذا الأحد القدوس .. ــ تبارك اسمه ــ يحضر الروح وينزلها الجسد ويحكم عليهما مجتمعتين فقد قيل « أنه سيأمر بالسموات من علي » وهذا يعني الروح « ويأمر

النية ، وتقديره بقدرها ، وهو محور عظيم دينيا واخلاقيا وقانونيا ، ومثله في تراثنا الحديث النبوي « انما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امريء مانوى » .

ولقد اطلعت على ترجمة عربية لهذه الفقرة في كتاب « في الفكر اليهودي » الذي ترجمه الدكتور الفريد بلوز ، رئيس قلم الترجمة بوزارة الزراعة في مصر ، ورئيس جمعية الشبان اليهود المصريين ، والكتاب في أصله باللغة الانجليزية ، وهو مجموعة مختارات مما قال اليهود . وقيل فيهم تقديرا وثناء . وقد جمعها ونسقها كتابا الدكتور ج.هـ.هوتس.

بالارض ــ وهذا يعني الجسد »)«٤١» .

٢٣ ــ هناك ثلاثة تيجان : تاج الشريعة وتاج الكهانة وتاج الملك ولكن تاج السمعة الطيبة يفوقها جميعا في البهاء .

٢٤ ــ ليكن الناس راغبين في خشية الله .

٢٥ ــ ويل للشرير ، وويل لجاره . وطوبى للبار وطوبى لجاره .

٢٦ ــ لو أن أحدا سرق مكيالا من قمح ، وطحنه ، وخبزه ، وقدم بعضه للكاهن ، فما البركة التي يدعو له بها الكاهن ؟ لاشيء . لأن ذلك لن يكون حمداً لله ، بل افتراء عليه«٤٢» .

٢٧ ــ اليد باليد . لن يبقى الشرير بمنجاة من العقاب ، ماذا يعني ذلك ؟ إنه من يسرق بيد ، ويحسن بالأخرى فلن يترك دون عقوبة .

٢٨ ــ ثلاثة يحبهم الله : من لا يغضب ، ومن لا يسكر ، ومن يكون كريما .

٢٩ ــ ثلاثة يستحقون رضوان الله : شاب يعيش في المدينة ولا يفجر ، وفقير يجد كنزا فيرده إلى صاحبه ، وغني يؤدي سرا عشور دخله .

«٤١» قصة المقعد والأعمى التي قصها هنا الربي حقادوش تتضمن تخلصا لطيفا من السؤال المحرج الذي سأله اياه الامبراطور انطونينيوس كما تتضمن تقريبا لأمر الحساب روحا وجسدا معا ولكن بطريقة غطية لا فلسفية ، فماذا كان موقف الامبراطور منها ، ثم الاستشهاد بآية المزمور وشرحها على هذا النحو لا يخلو من ضعف وشطط ، وهو أشبه بتأويل كلمات المنجمين ولكن هذا لا يعد عجيبا من الربي وأمثاله من الوعاظ ومعلمي الجماهير ، وهذه القصة قديمة في أدبنا العربي وهي شائعة في جماهيرنا حتى الصبيان .

«٤٢» من الكلمات الخاطئة الشائعة بين الجماهير كلمة (اللص الشريف) وهي تدل على ضحالة الفهم والتصور ، كما تدل على سوء الخلق والدين ، فاللصوصية خطيئة ، كما هي نقص في المروءة ، وعجز صاحبها عن ضبط نفسه أمام المال الذي يغريه ــ وهي تسقط من شرف صاحبها بقدرها ، وإن كانت لا تسلبه كل شرفه أمام نفسه ، وهو فضل ما في الأمر ، فإن هذه البقية من إحساسه بشرفه هي عونه الأكبر على أن يسترد ما أضاع منه ، ويجبر نقصه إذا عزم التوبة مخلصا .. ولكن لابد من طيب الكسب مع طيب الإنفاق .

٣٠ ـــ إذا مات إنسان لم تصحبه فضته ولا ذهبه ولا جواهره ولا حليه ، بل تقواه وأعماله الصالحة فحسب . كما قيل حين تذهب فإنها تقودك (أي حين تمضي مرتحلا لكي تمج الحياة) وحين تنام فإنها تحميك (اي حين ترقد محتضرا) وحين تصحو فإنها تتكلم عنك (اي حين تقوم في الحياة الأبدية) .

كان لرجل ثلاثة أصدقاء لم يكن يقدر أولهم عالياً وكان يقدر الثاني أعلى وكان يقدر الثالث فوق الجميع ودعاه الملك يوماً إلى حضرته ففزع الرجل ، لأنه سمع أن لا مفر له من الرد على بعض تهم قاسية موجهة ضده فذهب إلى صديقه الأول وطلب منه أن يصحبه إلى الملك ليكون شفيعه وأبى ان يصحبه فذهب إلى الثاني وسأله مثل ذلك فأجابه قائلا سأصحبك حتى قصر الملك ولكن لن أذهب معك وراء ذلك خطوة أبعد فذهب حزينا ضيق الصدر إلى الثالث فما أن سمع قصته حتى أعلن له استعداده لمصاحبته وحضور قضيته أمام الملك هؤلاء الأصدقاء الثلاثة : الثروة ، والأقارب ، والتقوى .

٣١ ـــ لا أحد يخطيء إلا أن تتلبسه روح الحماقة .

٣٢ ـــ إذا ارتكب المرء خطيئة مرتين لم يعدها بعد ذلك خطيئة .

٣٣ ـــ الفكرة الخاطئة شر من العمل الخاطيء «٤٣»

٣٤ ـــ ينبغي للمرء أن يتجنب تجارب الغواية ، فليس الفأر هو اللص ، بل الجحر .

٣٥ ـــ الأسد لا يزأر عند كومة من القش ، بل كومة من اللحم . تسبب رجل أن يغتسل إبنه ، ويطيب نفسه ، وأمده بطعام جيد وشراب جيد ، ومنحه كيسا من الذهب ، ثم قاده الى باب بيت للمجون . ماذا يحدث ؟ إلا أن تقبض عليه الرذيلة بذراعيها هكذا يقود الترف الناس إلى الخطيئة «٤٤» .

٣٦ ـــ لا تؤمن بنفسك حتى تموت ، ولتجعل نصب عينيك ثلاثة أشياء : أصلك المتواضع ، ونهايتك الباكية ، والدينونة الأبدية .

«٤٣» نظرة نافذة بارعة .

«٤٤» هذه الفقرة والفقر الأربع قبلها تدل على خبرة عميقة بالنفس الإنسانية وأطوارها .

٣٧ ــ كان الرِّبِّي ميئر يدعو يوماً بهلاك جار له شريرٍ وحين سمعت ذلك زوجته قالت : (انه مكتوب : تمحق الخطايا من الأرض حتى لا يكثر الأشرار بعد)«٤٥» والكتاب المقدس لا يريد هلاك الخطاه بل زوال الخطايا حتى لا يبقى شرير بعد ينبغي للمرء أن لا يدعو الله ليهلك الخاطيء بل أولى له أن يتضرع لصلاحه .

٣٨ ــ رجلان يبغضهما الله : رجل يشهد بغير مايرى«٤٦» وآخر يمتنع عن الشهادة وهو يستطيع أن يدلي بها لإطلاق متهم بريء«٤٧» .

٣٩ ــ أربعة لا يستطيع العقل أن يستسيغهم : فقير متكبر وغني بخيل وعجوز فاسق وموظف متغطرس فليس الموظف إلا خادماً للآخرين«٤٨» .

٤٠ ــ أربعة يعرض الله عنهم : المستهزيء والكذاب والمنافق والنمام .

٤١ ــ (تب في يوم قبل مماتك !) بهذا تحدث اليعيزر **Eliezer** بين تلاميذه فسأله أحدهم « وهل لنا أن نعرف متى نموت ؟ » فأجابه الربي اليعيزر « من أجل هذا ينبغي للمرء أن يجاهد يوماً فيوماً حتى يصل إلى الكمال » .

٤٢ ــ لا خير في المسوح«٤٩» والصيام بل في الصلاح وأعمال البر ولهذا

«٤٥» الكلام التالي هو بقية كلام زوجة الحاخام له وكلامها يدل على أنها أنبل وأهدى منه سبيلًا فمن الخطأ الأخلاقي كراهة الخطاه ومن الصواب الملزم كراهة الخطايا .

«٤٦» الشهادة في العربية مأخوذة من الشهود أي حضور الأمر ورؤيته عياناً ومنه الشهيد بكل معانيه .

«٤٧» قريب من ذلك ماجاء في القرآن الكريم (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه اثم قلبه) البقرة٢٨٣ .

«٤٨» قريب من هذا قول المعري في لزومياته متعجبا ناقما من الأمراء وهم أكبر الموظفين :

(مل المقام ، فكم أعاشر أمة أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية ، واستباحوا كيدها وعدوا مصالحها ، وهم أجراؤها)

«٤٩» مسوح ومساح : مفردها : مسح (بكسر فسكون) كساء من الصوف خشن غليظ ، وهو أسود غالبا يلبسه الفقراء ، ومن يتشبهون بهم من الزهاد والعباد ،

لم يقل في أهل نينوى«٥٠» (رأى الله مسوحهم وصيامهم) بل (رأى الله أعمالهم ، وانهم رجعوا عن طرقهم الشريرة) (يونان ١٠/٣) .

٤٣ ــ ينبغي للمرء إلا يعير تائباً بذنب سابق من حياته الماضية .

٤٤ ــ (لتكن ملابسك دائما بيضاً) (الجامعة ٨/٩) ماذا يعني هذا ؟ إنه يشير إلى طهارة الروح .

دعا ملك عبيده مرة إلى وليمة ولكن لم يعين لها وقتاً فأما الحكماء منهم فغسلوا حللهم الخاصة بالحفلات وانتظروا مستعدين وإما الحمقى ففكروا هكذا : إن لدينا وقتاً كافياً حين يدعونا الملك . وفجأة صدرت دعوة الملك فإذا الحكماء يظهرون في حللهم النظيفة ولكن الحمقى كانوا بملابسهم القذرة فأثنى الملك على الأولين ولكنه سخط على الآخرين وسمح للحكماء أن يجلسوا إلى مائدته ولكن لم يكن بد للحمقى من أن يبعدوا وهم يعانوا سخط الملك .

٤٥ ــ يكون الميل السيء ضعيفاً في البداية فإذا أكرمت ضيافته فسرعان ما يجعل نفسه سيد البيت .

٤٦ ــ يكون الدافع الشرير رقيقاً في أوله كنسيج العنكبوت ولكن سرعان

وقد خلط بعض الباحثين فجمع بين الزهاد ، والصوفية ، وظن أن التصوف مأخوذ من الصوف (المسوح) ناظر الى مشابهة خارجية قد تكون أو لا تكون ، ولم تلتفت إلى باطن النزعة عند الصوفية ، وكلمة الصوفية من أصل يوناني تعني الحكمة والمقصود بها هنا غالبا الحكمة الالهية ، ولابد هنا من التفرقة بين تصوف الفكر وتصوف السلوك ، والأخير هو الذي يشتبه بسلوك الزهاد والعباد .

«٥٠» Ninivites النينويون أو أهل نينوى وهم ــ كما يفهم من سفر يونان ــ كانوا عصاة فأرسل الله إليهم يونان فنادى فيهم بالرجوع إلى الله فآمنوا به ، وتابوا إليه ، ولبس كبارهم وصغارهم مسوحا ، وغطوا حيواناتهم بمثلها ، ونادوا لصوم حتى صوموا الحيوانات ، وقد ختم الاصحاح الثالث من سفر يونان بالآية المشار اليها هنا ، وهذا نصها من الترجمة العربية « فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه » .

وكانت نينوى عاصمة الدولة الآشورية التي قامت في شمالي ما بين النهرين العراق وموقعها اليوم بجانب مدينة الموصل وقد زرتها وشاهدت كثيرا من خرائبها وآثارها باقية كما شاهدت في المتحف العراقي كثيرا من الآثار الباهرة للآشوريين وأشهر دولهم الدولة

ما يصير غليظا كحبل مركبة النقل .

٤٧ ــ كلما كان المرء أكبر كانت خطيئته أكبر«٥١» .

٤٨ ــ الدراسة بلسم ضد الغواية . فإذا هاجمك ميل شرير فاسحبه إلى

الآشورية الحديثة من بداية الألف الأول قبل الميلاد وحتى سقوط الامبراطورية سنة ٦١٢ ق.م وقد شملت بعض فتراتها العراق وأرمينية ومصر واجزاء من الجزيرة العربية .

ومعروف في تاريخ اليهود أنهم لم تكن لهم دولة ملكية شبه متحدة الا في عهد شاول (طالوت) فداود فسليمان ، وبعده انقسمت قسمين « يهودا » في الجنوب وعاصمتها أورشليم ، وهي عاصمة المملكة شبه المتحدة قبل ، ومملكة اسرائيل في الشمال ، وهي القسم الأكبر تشمل عشرة أسباط من الاثني عشر سبطا ، وحدث سنة ٧٢٢ ق.م أن أغار الآشوريون على مملكة اسرائيل وقضوا عليها سياسيا ، ثم أسروا أهلها ، ولم يسمع لهم خبر بعد ذلك ، أي أنه قضى عليهم بالذوبان في بقية الشعوب وانتهوا دينيا واجتماعيا .

« يونان برماتاي » كما يسمى في الارامية السريانية ، والعبرية هو المسمى في تراثنا الاسلامي يونس بن متى ، وفي القرآن الكريم سورة باسمه « يونس » ، قد وردت فيها إشارة لقومه دون ذكر للمدينة التي بعث إليها ، ويكنيه القرآن « ذا النون » أي صاحب الحوت إشارة إلى الحوت الذي التقمه ، ثم لفظه وبقي حيا بعد ذلك (سورة الصافات ١٣٩ ــ ١٤٨) .

ويلاحظ في أسفار اليهود سفرين غريبين : أحدهما سفر يونان هذا ، فمن المعروف أن بني اسرائيل يرون النبوة إحتكارا لهم ، فلا نبي إلا منهم ولا نبي إلا إليهم ، ويونان هذا ــ كما جاء في السفر المسمى باسمه لم يرسل الى الاسرائيليين بل ارسل الى أهل نينوى وهم الآشوريون ، ولسنا نعرف الشعب الذي ينتمي إليه يونان (يونس) ولكنه ليس اسرائيليا على أي حال . فإذا عرفنا أن كل نبي لم يرسل إلا إلى قومه كان لنا ــ قياسا على ذلك ــ أن نقول أن يونان آشوري أرسل إلى الآشوريين مثله ، ومن هنا يظهر بأن اليهود قديما وجدوا هذا السفر ، فضموه إلى تراثهم أو وجدوا هذه القصة شائعة فكتبوها وضموها اليهم لما بينها وبين قصصهم من تشابه يسير ، وقد جعلوها في قسم (اسفار الانبياء) .

والسفر الآخر سفر أيوب ، وليس من انبيائهم قطعا ، وقد أظهر النقد الحديث أن أيوب عاش قبل ابراهيم ــ عليهما السلام ــ وأن « أيوب » نبي عربي ، واسمه دليل على عربيته ، فهو بمعنى (الأواب) إلى الله وقد وصف ابراهيم في القرآن بأنه الأواب .

«٥١» قريب هذا من مثل عامي مصري هو (وقعة الشاطر بألف) والمعنى أن الماهر أو الذكي أو الممتاز تكون عثرته كبيرة إذا عثر ، والسبب أن الممتاز طموح مغرم بالأعمال الممتازة التي لا يستطيعها الأشخاص العاديون ، فهو يتصدى لها وهم لا

مجلس العلم ، فإذا كان حجرا طحن حتى يسحق ، وإذا كان حديدا تطاير شعاعاً«٥٢» (انفلق حطاما) .

٤٩ ــ تجمل قبل أن تجمل الآخرين . وانزع الخشبة أولا من بين اسنانك قبل أن تقول لجارك « انزع القذى من عينيك » .

٥٠ ــ يرى المرء عيوب الآخرين ولكن لا يرى عيوب نفسه .

٥١ ــ لا تشرب بإفراط ، واجتنب الخطيئة .

٥٢ ــ لا تنظر إلى القارورة ، بل إلى ما تحتويه«٥٣» .

٥٣ ــ الخمر ترفع النبيل ، وتسقط الخسيس«٥٤» .

٥٤ ــ إذا دخلت الخمر تسلل السر للخروج .

٥٥ ــ الخمر تبهج قلب المرء ، ولكن لمجرد لحظة قصيرة .

٥٦ ــ عند الكأس الأولى حمل ، وعند الكأس الثانية أسد ، وعند الكأس الثالثة خنزير .

٥٧ ــ من يستطع أن يسيغ خبز الشعير فلن يأكل خبز القمح .

٥٨ ــ علامة خير أن يكون المرء معتدلًا ، فالاعتدال يقود إلى خشية الله ، من يكن معتدلًا لم يسهل عليه أن يرتكب الخطيئة . ومن ينقصه الاعتدال فلابد أن يسقط في هاوية الخطيئة .

يتصدون لها ، والأخطاء العادية التي تفوتهم لا تفوته ، ولكن المسائل الكبرى في مشاريعه الكبيرة هي التي تفوته فيعثر ، ومن هنا تكون عثرته كبيرة وقد يكون للجملة معنى آخر ، فالناس لا ينتظرون من الممتاز أو الكبير ، أن يقع فيما يقع فيه العاديين ، فإذا أخطأ مثلهم ــ ولو خطأ صغيرا ــ استكبروا منه هذا الخطأ ، أما لأنهم لم يتوقعوه ، وإما هولوا فيه حسدا له .

«٥٢» شعاعا : متفرقا ، ورأينا ان كل مشغلة فيما يفيد الانسان ــ لابد أن تحصنه ضد الغواية . وقد يفضل العلم في ذلك غيره .

«٥٣» أي لا تنظر الى ظواهر الناس وأمورهم ، بل انظر الى بواطنهم وبواطنها ، لأن الظواهر قد تكون زائفة .

«٥٤» الخمر تكشف المستور من الأخلاق . فإذا سكر النبيل ظهر نبله أوضح فكأن السكر رفعه ، وكذلك تظهر اخس رذائل الخسيس ، فكأن السكر أسقطه .

٥٩ ــ التهور يقود إلى جهنم ، والاعتدال يقود إلى الفردوس ، فلتكن معتدلًا أمام نفسك ، وأكثر اعتدالًا أمام الآخرين .

سابعاً العمل والحرفة

١ ــ كان شعار شيمايا Shemayah أحب العمل وأبغض الرياسة .

٢ ــ يقول آخر : « العمل عظيم ، لأنه يجلب لصاحبه الشرف » .

ويقول غيره : « العمل عظيم ، لأنه يدفيء صاحبه » .

ويقول غيره : « العمل يكسب صاحبه ازدهارا » .

٣ ــ التعلم بلا مهنة خراب ، وهو يقود إلى الخطيئة .

٤ ــ من لا يعلم إبنه حرفة يؤهله ليكون قاطع طريق .

٥ ــ إزالة جثة عن الطرق ألزم من الحاجة إلى الصدقة ، فلا تقل « إني كاهن » أو « إني عظيم ، فلا أستطيع القيام بهذه المهمة »«١» .

٦ ــ هكذا رتب الله الأمور حتى يرغب كل عامل في مهنته فلا تزول مهنة .

٧ ــ كان رجل اسمه شمعون من قرية جنين Sichnin حفاراً ماهراً للقنوات والآبار وكان الإقبال عليه كثيراً في أورشليم قال يوماً للربي يوحانان بن زكاي تلميذ هليل « أنا كبير مثلك » فسأله الربي الكبير « كيف ذلك ؟ » فأجابه « لأن الحاجة إليّ في المصلحة ليست أقل من الحاجة إليك . فإذا جاءك رجل يسألك عن ماء الشرب النقي الصالح وفق الشعائر اجبته : « اشرب من هذا الينبوع ، لأن مياهه نقية باردة » وإذا جاءتك امرأة تسألك اين الماء الصالح للاغتسال قلت لها : اغتسلي في هذا الحوض أو ذاك ، فإن مياهه تطهر النجاسة » .

٨ ــ جاء شاب يوماً إلى الربي يشماعيل Ishmael فسأله الربي « ما عملك يابني ؟ » فأجابه الشاب (أنا كاتب) فصاح يشماعيل « فلتكن إذن أمينا يابني ، فإن هذا عمل إلهي » .

«١» اي لا يمنعك جاهك الديني أو الدنيوي أن تعمل أي خير ولو برفع الأذى عن الطريق .

٩ ــ لا حرفة إلا وهي ضرورية في العالم«٢» ولكن السعيد من يعلمه أبواه أن يكون قدوة في حرفة راقية .

١٠ ــ لأن يستخدم المرء نفسه ولو في أبغض عمل ــ خير له من الحاجة إلى عون غيره«٣» .

١١ ــ حتى السنوات السبع العجاف - حين أتت - لم تعبر عتبة صاحب المهنة«٤» .

١٢ ــ العمال ــ خلال عملهم ــ ليسوا مضطرين إلى الوقوف إذا مر عليهم عالم«٥» .

١٣ ــ من يفتش ممتلكاته كل يوم يجد قطعة من الذهب .

١٤ ــ يقول الربي شمعون بن إليعازر « هل رأيت في كل حياتك طائرا أو حيوانا يشتغل بأي مهنة ؟ هذه المخلوقات صنعت ببساطة لأجل خدمتي ومع ذلك تكسب رزقها بلا مشقة«٦» لكني خلقت لأخدم خالقي ، وإذا كانت تلك التي خلقت لخدمتي تستطيع كسب معاشها دون مشقة ــ أفلا استطيع أنا الذي خلقت لخدمة خالقي أن أكسب معاشي بلا تعب ؟ لاشك أني لا أعدم

«٢» من أفضل طرق التربية اليهودية ــ أن يعلم الأب ولده حرفة يدوية ، فهي عند الاستغناء تسلية ، وعند الحاجة وسيلة رزق ولو كان قليلا ، فذلك أفضل من الفاقة والسؤال .

«٣» قريب من هذا ما روي في الأثر « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره ، خير من أن يسأل الناس : أعطوه أو منعوه » .

«٤» إشارة الى سنوات الجوع السبع التي مرت بمصر أيام يوسف ، والمعنى أن أحوال القحط لا تفقر صاحب مهنة لأن الناس دائما في حاجة الى خدمته ــ وقد وردت الاشارة الى سنوات الجوع السبع في التوراة (التكوين ٤١) وفي القرآن (سورة يوسف ٤٣ ــ ٤٨) .

«٥» من العادات التي كانت شائعة بين عوام الشعوب قديما ــ أن يقفوا ، إذا كانوا في مجلسهم ومر عليهم عالم (من رجال الدين) احتراما له ، ولا تزال هذه العادة شائعة بيننا في الأرياف والصحاري حتى الآن .

«٦» هذا وهم فالطيور والحيوانات تشقى مثلنا في اكتساب معاشها ، بل شقاؤها أشد

وسائل المعونة إلا بإتباع الطرق الشريرة . .

١٥ ــ الزغب الذي يتساقط من نسيج الصوف حين ينقعه القصار«٧» يكون ملك له ، وأما الزغب الذي يخرج منه حين يمشطه الماشط فهو للمالك والخيوط الثلاثة التي يصنعها النساج تكون ملكا للقصار حين يسحبها كلها وكل ما بقي ــ بعد ذلك ــ فهو للمالك . ولكن إذا كانت هناك خيوط سود تحدد النسيج الأبيض فللقصاب ــ إذا انتزعها ــ أن يحتفظ بها لنفسه ، لأن الأسود لا يناسب الأبيض ، وإذا بقي عند الخيط ملء ابرة من الخيط أو بقية قصاصة من النسيج بقدر ثلاث أصابع فهي للمالك والنفايات التي يكشفها النجار ملك له ، وأما شظايا قدومه فللمالك . وإذا عمل النجار في بيت المالك فللمالك كل النفايات حتى النشارة .

١٦ ــ لا يدع رجل إبنه ليكون حمّاراً ، أو جمالا أو حلاقا ، أو ملاحا ، أو راعيا لأن هذه المهن مهن لصوصية .

١٧ ــ الحمارون غالباً كفرة ، والجمالون غالباً أمناء (رغم الإغراء عند تصرفهم في أمتعة الآخرين التي يجلبها معاشهم على الطرق العظمى«٨» والملاحون غالباً أتقياء لما يتعرضون له من الأخطار والأطباء مهيئون لجهنم (فهم ــ بحكم المهنة ــ ذوو آراء مادية في أعراض الحياة ولأنهم ــ عادة ــ

ومخاطرها أكثر . وليس لها مثل مالنا من الحول والحيلة ووسائل الحضارة الكثيرة المتنوعة التي تحمينا وتسهل علينا كثيرا من المصاعب

«٧» القصار من ينقع النسيج ويدقه نبيضه ويسوي اجزاءه ويسمى هذا العمل قصرا والصناعة قصارة .

«٨» الطرق العظمى او الطرق السلطانية ، وهي الطرق الكبيرة التي كانت تمر فيا قوافل التجارة والجيوش بين الأقطار المختلفة وهي تختلف عن الطرق الضيقة القصيرة بين المدن والقرى المتقاربة أو في داخلها ، هؤلاء الجمالون يعيشوا على نقل أثقال هذه القوافل ، ويلاحظ أن الحمارين أقصر من الجمالين همة وأقل شجاعة وقوة وأمانة ، وهذا واضح من الفرق بين أخلاق العرب (اصحاب الجمل) وأخلاق اليهود واسلافهم (أصحاب الحمار) وإن كان هؤلاء وهؤلاء قديما من البدو الرحل ، والمشتغلين بالتجارة او نقل عروضها .

يفضلون الأغنياء على الفقراء وأشرف الجزارين هو رفيق العمالقة Amalek«٩» لأنه يوثق بنوع لحمه) .

١٨ ــ لا الكاتب ينبغي له أن يخرج (اي عند مساء الجمعة) وقلمه خلف أذنه ، ولا الصباغ ونماذجه في يده ، ولا الصيرفي وديناره في أذنه (هذه هي علامات المهن أو التخصصات عند هؤلاء) .

١٩ ــ اذا اتخذت مهنة الله (دراسة كلمة الله) فالبس زيه أيضا (كن محسنا) .

٢٠ ــ من يتمتع بثمرة عمله لنفسه أعظم ممن يكتفي بخشية الله (لكنه لا يسعى لاكتساب معاشه) .

«٩» كان شعب عماليق أو العمالقة يسكنون جنوبي فلسطين قبل خروج بني اسرائيل من مصر بقيادة موسى وفي مسير الاسرائيليين من مصر إلى فلسطين أيام موسى وقف العمالقة لهم في الطريق وحاربوهم ، وانتصروا عليهم ، وقد جرت بين الشعبين حروب كثيرة بعد ذلك . انظر سفر العدد ٢٩/١٣ ، ٢٠/٢٤ ، وسفر القضاة ٣/٦ ، ٣٣ و١٢/٧ ومواضع أخرى .

الفصل الثامن «١»

كيف يعمل الانسان وكيف يعمل الله ؟!

١ ــ قال الرَّبان Rabban شمعون بن جمالئيل Gamaliel « تعال وانظر كيف تختلف طرق الأحد القدوس ــ تبارك اسمه ــ عن طريق اللحم والدم«٢» ، اللحم والدم يداوى المر بالحلو ، ولكن الأحد القدوس ــ تبارك اسمه ــ يداوي المرّ بالمرّ .. كيف ذلك ؟ إنه يضع شيئا غير موافق على شيء كان من قبل غير موافق . فقد قيل « فحينا جاءوا مارة لم يطيقوا أن يشربوا من مياهها ، لأنها كانت مرة ، فلذلك دعى اسمها مارة (فتذمر الشعب من موسى قائلين : ماذا نشرب ؟ فصرخ للرب«٣») فأراه الرب شجرة فقذفها في المياه فصارت عذبة (الخروج ١٥/٢٣ ــ ٢٥) .

٢ ــ هذا سبيل اللحم والدم ومسلكه : خشية الانسان تمتد الى من هم بعيد عنه أشد مما تمتد إلى من هم قريب منه . لكن الأحد القدوس ــ تبارك اسمه ــ ليس كذلك ، فخشيته تمتد إلى من هم قريب إليه أشد مما تمتد إلى من هم بعيد عنه ، فإنه قيل : « سأتقدس فيمن يأتون قريبا مني (اللاويين

«١» يلاحظ أن كل ماورد في هذا الفصل عظات تافهة متقاربة جملة ، وقلما تكون الآيات التوراتية وغيرها إسناد صحيح أو مناسبة لما يقيمه عليها هؤلاء الوعاظ من العظات ، وأي مؤمن على حظ من عقل يقارن بين أعمال الانسانية وأعمال الله ليصغر قدر الانسان ويعظم قدر الله ، والله في فرضه سلفا هو خالق كل شيء حتى الانسان ، فهو مسلم بعظمة الله وصغر الانسان قبل هذه الادلة والعظات التافهة التي لا تزيد الفرض تأييدا أو توضيحا .

«٢» المراد باللحم والدم هو الانسان .

«٣» هذه الزيادة بين القوسين لم تأت في كتابنا هنا وقد نقلناها من التوراة (الخروج ٢٥/٢٣/١٥) ليزداد سياق الكلام وضوحا ، ومارة ــ كما يفهم من القصة ــ بقعة في سيناء مر عليها بنو اسرائيل بعد خروجهم بقيادة موسى في طريقهم الى فلسطين .

١٠/٣) . وقيل : « إنها ستكون عاصفة جدا حوله » (المزامير ٣/١)«٤»
كما قيل : أيها الرب إله الجنود من رب قوي مثلك وإيمانك من حولك »«٥»
(المزامير ٨/٨٩) .

٣ ــ هكذا سبيل اللحم والدم ومسلكه : إذا عمل امرؤ من أجل سيّد فعليه أن يحرث له ، ويبذر له ، ويحصد له ، ويكدح له ، ثم يعطيه السيد أجوره ، ويخلي سبيله . لكن الأحد القدوس ــ تبارك اسمه ــ ليس كذلك . اذا كان لامرىء رغبة في الأطفال وهبهم له ، فإنه قيل « هاهم أولاء الأطفال ميراث من الرب » (المزامير ٣/١٢٧) وإذا رغب امرؤ في الحكمة وهبها له ، فإنه قيل « لأن الرب يهب الحكمة » (المزامير ٦/٢) وإذا رغب امرؤ في القوة وهبها له ، فإنه قيل « الثروة والكرامة كلتاهما من عندك » (اخبار الأيام ــ الأول ١٢/٢٩) .

٤ ــ هكذا سبيل اللحم والدم ، ومسلكه : إذا بنى فإنه يبني القسم الأسفل أولا ، ثم الأعلى . لكن الأحد القدوس ــ تبارك اسمه ــ يبني القسم الأعلى أولا ثم الأسفل ، فإنه قيل : « في البدء خلق الله«٦» السموات ثم الأرض » (التكوين ١/١) .

«٤» رجعنا الى الموضع المشار إليه (المزامير ٣/١) فلم نجد هذه العبارة ، فالاشارة هنا إلى هذا الموضع غير دقيقة .

«٥» هذه هي الترجمة الدقيقة للعبارة الانجليزية في كتابنا ، والعبارة في الترجمة العربية للعهد القديم هكذا « يارب إله الجنود من مثلك قوي رب وحقك من حولك » (المزمور ٨/٨٩) .

«٦» في الأصل العبري (الوهيم) جمع (الوه) اي إله ، فالترجمة الحرفية (خلقت الالهة السماوات) ومن قرأ التوراة بالعبرية ظهر له أنها تضم نوعين من الآراء اللاهوتية لطائفتين مختلفتين : طائفة تؤمن بتعدد الالهة (الوهيم) واخرى تؤمن بإله واحد (يهوه) ولكنه خاص بها ، وكلتا الطائفتين بعيدة عن التوحيد الصحيح ، اي الايمان بإله واحد لا شريك له هو رب العالمين ، الخلق جميعا أمامه سواء ، ولكنهم يتفاضلون ، بالايمان والعمل الصالح ، أو بالتقوى ، فالفضيلة يكتسبها الانسان بجهاده في سبيل الله فردا كان أو جماعة ، وليس هناك كما يعتقد اليهود شعب يختاره هذا الاله ويحرم الاخرين ، أو يدعوه لعبادته ،

٥ ــ هكذا سبيل اللحم والدم ومسلكه : إذا وضع سقوفا وضعها من خشب وطين . لكن الأحد القدوس ــ تبارك اسمه ــ يضع سقوف عالمه من ماء ، لأنه قيل « هو يسقف علاليّه«٧» بالمياه » (المزامير ٣/١٠٤) .

٦ ــ سبيل اللحم والدم ومسلكه هو : أنه لا يستطيع صنع صورة من الغبار لكن الأحد القدوس ــ تبارك اسمه ــ استخرج صورة من الغبار Dust فقد قيل : (حينما صُنِعت خفية وكونت بمهارة في الأعماق الدنيا من الأرض«٨») (المزامير ١٥/١٣٩) ، سبيل اللحم والدم ومسلكه

ولا يسمح للآخرين أن يعبدوه ، ولا يقبل منهم عبادتهم لو عبدوه ، وكذلك ليست الفضيلة نعمة يفرضها الله على فرد ولا شعب ، ويختصه بها دون خلقه ، ولا رضوان الله حكرا لأي شعب حقيق بهذا الرضا وحده مهما تبلغ معاصيه ، ولا يناله الآخرون مهما يقدموا من طاعات ، وهذه هي عقيدة اليهود في أنفسهم وفي إلههم الخاص « يهوه » .
ومن هنا يظهر ان الترجمة العربية وغيرها من التراجم في اللغات الأخرى تخفى هذه الأسرار المنكرة ، حين تضع كلمة «الله » او كلمة God ونحوها في مقابل كلمة « الوهيم » في التوراة ، أو في مقابل كلمة « يهوه » أحيانا ، فيعتقد القراء خطأ أن الديانة اليهودية توحيد ، مع أنها في بعض مراحلها أو جوانبها « ديانة تعدد » وفي بعضها الاخر « ديانة تخصيص » : أي اله خاص بشعب وشعب خاص بهذا الاله دون بقية الالهة مع عدم إنكارها ، وعدم الانكار على أحد ان يعبدها أو يعبد ما يشاء منها ، ولكنهم هم لا يعبدونه لأنه ليس إلههم الخاص بهم ، ولا يسمحون لغيرهم عبادة هذا الاله الخاص ، لأنه ليس الهه .
والديانة التوحيدية توجب أن يكون إله واحد لجميع الخلق وماعداه باطل ، ولا محل فيها للاحتكار أو العنصرية او الامتياز بحكم العرق أو بحكم وعد مزعوم لأحد الآباء يلزم الله بالوفاء لهذا الموعود وذريته ويحرم ماعداها ، ومهما ضلت هذه الذرية أو تمردت أو تمرغت في المعاصي فهي المختارة الأثيرة كما يزعم الاسرائيليون في المجاهرة بالوعد الابراهيمي لهم لمجرد أنهم أبناء إبراهيم أو إسرائيليون .

«٧» العلالي : الغرف العليا في المباني واحدتها (علية) والمراد بالعلالي هنا السماوات وربما كان يقابلها في القرآن كلمة (الغرفة) أو كلمة الغرفات كما تضمنتها الاية (اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ، وهم في الغرفات آمنون) .

«٨» يلاحظ القاريء في هذه الفقرات جميعا أن النظرة السطحية التافهة هي الغالبة عليها سواء في تأمل طريقة الانسان أو طريقة الله ، كما تغلب عليها في المقارنة بين الطريقتين، ومن وينظر مثل هذه النظرة العامية لا يعجزه أن يأتي بالآلاف من أمثال هذه المواعظ .

هو : أنه اذا شرع في صنع صورة بدأ بالرأس أو الأطراف ثم يتممها، لكن الأحد القدوس — تبارك اسمه — يتممها كلها دفعة واحدة ، فقد قيل (هو مصور الجميع) (ارميا ١٠/١٦) وقيل في موضع آخر (ليس هناك أي صخرة Rock) (او مصور Fashioner كإلهنا)(صموئيل الأول ٢/٢)

٧ — ملك اللحم والدم يتقدم للحرب فتأتي المقاطعات المجاورة يطلبون منه ما يحتاجون ، فيقول لهم (أنا ثائر ، أنا متجه للحرب . فإذا انتصرت ورجعت فتعالوا واسألوني) لكن الأحد القدوس — تبارك اسمه — ليس كذلك (الرب رجل الحرب) لأنه يقاتل المصريين و(الربهو اسمه) (الخروج ١٥/٣) ، لأنه يسمع صرخات كل من يدخلون العالم لأنه قيل (أنت الذي تسمع الصلاة ، إليك يأتي كل بشر) (المزامير ٦٥/٢) .

٨ — ملك اللحم والدم الذي يقوم في المعركة لا يستطيع مقاربة جنوده ومعسكره والعناية بكل جيشه ، لكن الأحد القدوس — تبارك اسمه — ليس كذلك : انه الأولى (الله رجل الحرب) لأنه يقاتل المصريين ، وكذلك (الرب اسمه) (لأنه يعصد ويعيل كل من يدخلون العالم) فقد قيل (فرق البحر الأحمر فرقا لأن رحمته تدوم أبدا انه يبذل الطعام لكل البشر ، لأن رحمته تدوم أبداً) (المزامير ١٣٦/١٣/٢٥) .

٩ — الأحد القدوس — تبارك اسمه — يعافي كل من يدخلون العالم فقد قيل : (لأني انا الرب الذي يشفيك) (الخروج ١٥/٢٦) وكذلك يقول (اشفني يارب ، فأشفى ، وأقني فأكون آمنا) (ارميا ١٧/١٤) وقيل في موضع آخر : (ارجعوا أيها الأطفال المتمردون ، فأشفي تمردكم) (إرميا ٣/٢٢) .

١٠ — تعال وانظر . إن شفاء الاحد القدوس — تبارك اسمه — ليس كشفاء اللحم والدم . في شفاء اللحم والدم ، لا يشفى أمرؤ بما جرح ، لأنه يجرح بسكين ، ويشفى بضماد ، ولكن الأمر مع الأحد القدوس — تبارك اسمه — ليس كذلك فإنه يشفي بما جرح به ، وعندما ضايق أيوب لم يسخر غير عاصفة ، إذ قيل « لأنه يحطمني بعاصفة ، ويكثر جروحي بلا سبب » (أيوب ٩/١٧) وعندما شفاه لم يشفه إلا بعاصفة ، فإنه قيل : « فأجاب

الرب أيوب من العاصفة » أي إنه أجابه من العاصفة وشفاه (ايوب/١/٣٨) .

تاسعاً : التربية والتعليم

١ ــ الأطفال دون ست سنوات صغار جدا عن التعلّم«١» .

٢ ــ أن نفخة واحدة من اللسان تلمس القلب لأعظم أثرا من الضرب الشديد .

٣ ــ إذا ما وعد أحد طفلا بشيء فعليه أن ينجز وعده ، والا يعلم الطفل الكذب .

٤ ــ تعليم الشباب قد لا يحركهم ولو لبناء معبد .

٥ ــ يظهر الدارسون كفايات مختلفة : بعضهم يتلقى بسهولة ، وبسهولة ينسى ، وبعضهم يتلقى بصعوبة ، وينسى بصعوبة ، وبعضهم يتلقى بصعوبة وبسهولة ينسى وبعضهم يتلقى بسهولة وبصعوبة ينسى .

٦ ــ الذين يردون كثيرين الى البر سيسطعون كالكواكب«٢» (دانيال ٣٢/١٢) (المعلمون هم المشار اليهم هنا) .

٧ ــ هذا الرجل جدير حقا أن يذكر دائما بالتجلة اسمه يوشع بن جمالا Jashua son of Gamala لولاه لنسيت المعرفة بيننا تماما ، في العهود الماضية كان الناس يتبعون وصية الكتاب«٣» (تعلمون أطفالكم) لكن

«١» قد ينطبق هذا على الأطفال جملة ، ولكن لا ينطبق عليهم جميعا ، فمن الخطأ الفادح أن يؤخذ به كل طفل ، ولابد من مراعاة الفروق الفردية بين كل طفل وآخر ولو كانا توأمين ، فكثير من الأطفال مستعدون لتقبل نوع معين أو أكثر من أنواع التعليم ، وهؤلاء ينبغون مبكرين ، وأظهر هذه الأنواع الرياضيات وما يتصل بها أو يشبهها من المعارف وأما التربية فلابد أن تبدأ منذ ولادة الطفل ، بل قبلها ، بل إن حكماء الناس من يدعون تربية طفلهم قبل الحمل به أي قبل الزواج ، فيختار شريكته أو تختار شريكها من النجباء .

«٢» هذا نص الآية عن الترجمة العربية « والفاهمون يضيئون كضياء الجلد ، والذين ردوا كثيرين الى البر كالكواكب إلى أبد الدهور » .

«٣» هو الكتاب المقدس عند اليهود .

الأطفال الذين لم يكن لهم أب يعلمهم شبوا دون تعلم وأخيرا أسست المدارس في القدس ، ثم في المناطق الأخرى ، لكن يوشع بن جمالا هو الذي خطط لتأسيس مدارس وتعيين معلمين في كل الأماكن .

٨ ــ ممارسة المعرفة اكبر من ذبيحة ، ان من يكرس نفسه للمعرفة لا يحتاج الى قرابين محرقة للشفاء ولا قرابين سلامة ، ولا قرابين خطيئة ، ولا قرابين عدوان«٤» .

٩ ــ حتى الامي«٥» الذي يكرس نفسه للمعرفة ينبغي أن يكرم على سواء كالكاهن الرفيع . فقد قيل « هذه هي المبادىء التي ينبغي للانسان أن يمارسها » ولا يقال « الكهنة ، أو اللاويين ، أو الاسرائيليين » ولكن يقال الانسان ، أي إنسان«٦» .

١٠ ــ المعرفة أكبر من الكهانة ، ومن جاه الملوك .

١١ ــ نسب الى الرابي Rabbi Jose ben Kisma يوسى بن قسما القول الآتي « ذات مرة قابلني رجل في الطريق وبعد أن تبادلنا التحية سألني من أين أتيت ، فأجبته : (من المدينة العظيمة التي يعيش فيها كثير من

«٤» من شعائر اليهود ــ مثلهم كمثل غيرهم من الجماعات ــ تقديم قربان عند طلب العافية أو السلامة وعند ارتكاب خطيئة أو عدوان للتكفير عنه ، والغالب أن يكون القربان ذبيحة ، والمشغول بطلب المعرفة غني عن كل هذه القرابين ، لانصرافه عن كل المطالب التي تقدم من أجلها هذه القرابين .

«٥» غير اليهودي .

«٦» الاسرائيليون ــ في نظر انفسهم ــ هم شعب الله المختار ، فهم أفضل الشعوب واللاويون عندهم أفضل الأسباط فقد خصهم النبي موسى ــ وهم سبطه ــ بكثير من الخدمات الدينية كما خصهم طوعا لذلك بكثير من الامتيازات الاجتماعية والمالية . والكهنة عندهم أفضل اللاويين لأنهم موكلون بخدمة الرب . وهذه الفقرة تشير إلى أن الانسان مطالب بممارسة المبادىء التي تجعله كاملا ، أيا كانت الجماعة التي ينتمي إليها ، فهو مطالب بالسعي إلى الكمال لسبب واحد هو أنه إنسان ، لا لانتمائه إلى عرق معين ، ولا جماعة معينة ، ولذلك يستحق العالم الكرامة أيا كان عرقه ، أو جماعته .

كما أن هذه الفقرة وسابقتها ولاحقتها تدل على تطور ورقي كبير في الوعي الديني والأخلاقي والفكري بين اليهود ، وتقرب كثيرا بينهم وبين غيرهم من الأمم .

الدارسين ، والحكماء » فقال لي : أيها الرابي ، ربما ترغب أن تأتي إلى موطني ، فأقاسمك بسرور كل ثرواتي العظيمة . فأجبته « ولو آثرتني بكل كنوز العالم ، فسأفضل أن لا أقيم إلا في موطن المعرفة والتعليم ، فإن المزموري يقول : كلمات في فمك أكرم عندي من آلاف من الذهب والفضة ») (المزامير ۷۲/۱۰۹)

۱۲ ـــ اعتاد الرابي نيحنيا بن حقانة Rabbi Nechunja Ben Hakana كلما خرج من المدرسة أن يدعو (اشكرك أيها الرب إلهي ، فإن حظي وضعني بين اولئك الذين يزورون المدارس ، لا بين الكسالى في زوايا الطرق . إني أنهض مبكرا ، وهم ينهضون متأخرين . أنا أشغل نفسي مبكرا في الصباح بكلمات التوراة ، وهم يشتغلون بالأباطيل . أنا أعمل ، وهم يعملون . أنا أعمل وأنال ثوابك ، وهم يشتغلون ولا ينالون شيئا . أنا أجري وهم يجرون ، فأسرع نحو الأبدية الحية ، وهم يسرعون نحو هاوية بلا قرار) .

۱۳ ـــ بين المعلمين في يبنه (يمنيه)«۷» قول مأثور : أنا مخلوق الله ، وكذلك رفيقي . مهنتي في المدينة ، ومهنته في الحقل ، أنا أذهب مبكرا إلى عملي ، وهو يبكر إلى عمله ، لا هو يباهي بعمله ولا أنا أباهي بعملي وإذا أنت قلت : (أنا انجز مهام عظيمة وهو ينجز أشياء صغيرة) علمنا أن من ينجز أشياء عظيمة أو ينجز أشياء صغيرة ينال الثواب ذاته إذا لم يكن قلبه غير متجه إلا إلى السماء) .

١٤ ـــ صدر الأم رمز المعرفة . كلما أمسك به الرضيع وجد مددا طازجا ، كذلك المعرفة تخلق الأفكار الجديدة كلما التمس المرء منها لنفسه .

١٥ ـــ إذا ظفرت بالمعرفة فأي شيء ينقصك ؟ وإذا نقصتك المعرفة فأي شيء حصلته ؟

١٦ ـــ المعرفة تنشد السلام في العالم .

۱۷ ـــ جاء ربي يوحانان من طبرية Tiberias إلى صفورية

«۷» Jabne (Jamnia) .

Sepphoris وكان يرافقه شاب ، فمرا بضيعة كبيرة فقال الربي يوحانان (هذه الضيعة كانت يوما لي ، وبعتها لأفرغ نفسي للدراسة) فلم يستطع رفيقه أن يدرك مثل هذا العمل ، فقال الرابي يوحانان (ياصديقي كيف لا استغني عما خلق في يوم واحد بما قد اعطى في أربعين يوما)«٨» .

١٨ ــ من هو الأفضل ؟ من يكون مهذبا erudite أو من يكون غفلا Original ؟ الأول . لكن كلا منهما يحتاج إلى حبة قمح«٩» .

١٩ ــ حتى محادثات الدارسين اليومية يجب أن تكون مستحسنة .

٢٠ ــ ليكن بيتك ملتقى الحكماء . غبِّر نفسك بتراب أقدامهم ، وانهل من كلماتهم كالظمآن .

٢١ ــ لا يليق بالدارس أن يخرج بنعل مرقع ، أيما دارس يخرج بملابس قذرة فإنه يحقر العلم .

٢٢ ــ مانسبة المثقف إلى الغفل ؟ قبل أن يتحدث المثقف إلى الغفل (الجلف) يجد في عينيه كأسا ذهبية ، وإذا تحدث لم يجده إلا كوبا فضية ولكن حين يؤاكله أو يشاربه لا يجده إلا وعاء طينيا يسهل كسره ولا يمكن جبره .

«٨» تحصيل المعرفة يحتاج إلى أضعاف مضاعفة من الجهود والأوقات التي يحتاج إليها تحصيل الثروة .

«٩» المهذب والغفل ، وكذلك كل فاضل وكل ناقص ، أو كل عظيم وكل خسيس يشتركان في الحاجة الى الضرورات الحيوانية ، ثم يفترقان ، ولذلك يخطيء من يفاضل بين اثنين من هذه الضرورات ، اذ لا تفاضل فيها ومثل هذا الخطأ أو أشنع منه أن يفاضل بين اثنين فيما يشبه هذه الضرورات أو يقاربها من الخصائص والأعمال ، فالناس جميعا يتشابهون أو يتقاربون إذا نظرنا إليهم في حدود المستويات الدنيا من أمور الحياة العادية فلا يظهر التفاضل بينهم بوضوح ، ولكن إذا نظرنا إليهم في حدود المستويات العليا من أمور الحياة الممتازة أو النادرة التي تمتحن بها الكفايات ظهر التفاضل بارزا لأدنى نظر ، فاصغر التلاميذ وأكبر المعلمين يستويان في معرفة القراءة والكتابة ومبادىء الحساب ، ولكنهما يتباعدان في مسائل الفكر والأدب والفن الرفيع . وأبخل البخلاء وأكرم الكرماء يتساوياذ في إعطاء الزهيد ، ولكنهما يتباعدان في إعطاء الكثير ولا سيما عند الحاجة ، وأجبن الجبناء وأشجع الشجعان يستويان عند الأمن ، ولكنهما يتباعدان عند الفزع والطفل الرضيع وأقوى الأقوياء يستويان عند حمل حصاة ولكنهما يتباعدان عند حمل الأثقال .

٢٣ ــ لا تنزع الى انتقاص شيخ كان متعلما يوما ثم صار لا يعرف كثيرا بسبب شيخوخته . حتى الألواح المحطمة للشريعة تحفظ في التابوت بجانب الألواح السليمة .

٢٤ ــ لا تجعل المعرفة تاجا للمباهاة ولا معولا للهدم .

٢٥ ــ على المرء ألا يعزم قائلا (سأكرس نفسي للدراسة كي أضمن لقب حكيم وعالم ، وأنال الكرامة ، لكن ليدرس حبا للمعرفة فإن الشرف سيأتيه من نفسه في وقته الطيب) .

٢٦ ــ ليس الشيء المهم هو المعرفة بل النفع الذي تسخر له .

٢٧ ــ بماذا نشبه رجلا يضع المعرفة فوق الفضيلة ؟ إنه كشجرة ذات فروع كثيرة وجذور قليلة ، فإذا هبت عاصفة طرحتها أرضا .

وبماذا نشبه رجلا يضع الفضيلة فوق المعرفة ؟«١٠» بشجرة ذات فروع قليلة وجذور كثيرة : لا تستطيع أن تطيح بها كل عواصف العالم .

٢٨ ــ ويل للدارسين الذين تنقصهم الفضيلة ! ويل لمن لا بيت له ويتخذ لنفسه بابا«١١» .

٢٩ ــ (ستحب الرب إلهك) هذا أيضا يعني (ستجعل اسم الله محبوبا) وهذا ينطبق بخاصة على الدارسين ، اذا عقد عالم صلة طيبة مع الناس ، وكان تصرفه حسنا ، وكان أمينا في الأمور المالية فماذا يقول الناس فيه ؟ (بخ له فإنه كسب المعرفة ! إنه شرف لأبيه ومعلمه ، ويل لمن لم يتعلموا شيئا ! انظر كيف أن المعرفة تكسب نبلا ، ولكن إذا كان سلوك الدارس حقيرا فحينئذ يقول الناس عكس ذلك وستحتقر المعرفة .

٣٠ ــ إذ تعلمت كثيرا فلا تبالغ في تقدير ذلك ، لأنه حظك .

٣١ ــ المعرفة كالماء فهو يتدفق وينحدر عن الأماكن العالية وكذلك المعرفة لا تترعرع إلا بين المتواضعين .

«١٠» في الأمثلة العامية المصرية (الأدب مفضل على العلم) أو (الأدب فضلوه على العلم) يقصدون بالأدب الفضيلة أو الأخلاق الحسنة .

«١١» أي أن العلم بلا فضيلة كباب بلا بيت .

٣٢ ــ ماذا تعني هذه الآية : « هي ليست في السماء ؟ » إنها تعني أن المعرفة لا تحمل نفسها بكبرياء وغطرسة .

٣٣ ــ ذات مرة القى الرابي أباهو Abbahu والرابي شعيا Chiya بعض الدروس في مكان اجنبي ، ألقى ثانيهما درسا علميا جافا وألقى أولهما درسا تهذيبيا ، فاحتشد الجمهور اعداد ضخمة حول الأول ، ولكن الثاني اضطر أن يتكلم أمام مقاعد فارغة ، عند ذلك شعر الرابي شعيا بتعاسة شديدة ، غير أن الرابي أباهو قال له : (سأضرب لك مثلا : جاء تاجران موضعا ، وكان أحدهما يبيع لآلىء حقيقية وكان الآخر يبيع حصا ولآلي زجاجية اتدري أيهما وجد من المشترين عددا أكثر ؟ من كان يعرض اللآلىء الزجاجية والحصى الملونة بأسعار زهيدة) .

٣٤ ــ كان الربان جمالئيل والرِّبِّي يوشع فوق ظهر سفينة فكشف الرِّبِّي يوشع عن علمه الغزير ، حتى قال الربان جمالئيل : (هكذا أنت عالم كبير ، فيجب أن تحتمل جهدا أكبر) ، فأجابه : (بدل العجب مني ينبغي أن تتعجب من العالمين يوحانان واليعيزر اللذين يعرفان كل قطرة ماء في البحر ، ومع ذلك لا يملكان الا كسرة خبز جاف وحلة جيدة واحدة ، عندئذ صمم الربان جمالئيل أن يسند إليهما منصبا عاليا ، فأرسل إليهما حين عاد إلى بيته . لكنهما لم يأتيا إليه لفرط تواضعهما عن التطلع لتحصيل أي منصب .. فما كان من الربان جمالئيل إلا أن بعث إليهما بهذه الرسالة : « لا تظنا أني أنعم عليكما بأي شرف . أنا ــ بالأحرى ــ أسألكما خدمة شاقة . فالمنصب ــ عند صاحب الضمير الحي ــ عبء أكثر مما هو كرامة »(١٢) .

٣٥ ــ هذا هو السبيل لتحصيل المعرفة . لابد أن تأكل كل الخبز بالملح ، ولابد أن تقنع بشرب الماء والنوم على التراب ، فإذا فعلت ذلك تحققت لك الصحة والثروة .

٣٦ ــ إنما يملك المعرفة من يعرف انه لا يعرف شيئا .

---

(١٢) يشبه هذا قولنا في المنصب او الوظيفة أنها تكليف لا تشريف .

٣٧ ـــ كلما كبر الدارس تمت حكمته . وكلما تقدمت سن الجاهل صار اكبر حماقة .

٣٨ ـــ من يتعلم في الشباب ما مثله ؟ مثل كتابة على ورقة جديدة ، وما مثل من يتعلم في الكبر ؟ مثل الكتابة البالية على ورقة ممحوة . وبماذا نشبه الرجل الذي يتعلم من الصبيان ؟ انه كمن يأكل الحصرم(١٣). ويشرب الخمر من المعصرة ، ما مثل من يتلقى عن الشيوخ ؟ مثل من يأكل الأعناب الناضجة ويشرب الخمر المعتقة .

٣٩ ـــ أنتم أيها الحكماء والمعلمون اعتنوا بدروسكم إنه ليمكن بسهولة ان تكون كلماتكم غامضة إن لم تكونوا اعظم عناية ، فليقدم المعلم درسه دائما في إجمال وإيجاز .

٤٠ ـــ إذا رأيت الدارس يضطرب في دروسه كأنها الصلب في ثقلها فهي دليل على أن معلمه لم يدرسها له في رفق .

٤١ ـــ لماذا تقارن المعرفة بالخشب ؟ تستطيع قطعة صغيرة من الخشب ان تشعل قطعة أكبر ، كذلك أهل الذكاء المحدود قد ينعشون عقولاً كبيرة .

٤٢ ـــ تعلمت من أساتذتي كثيرا ، وتعلمت من زملائي أكثر ، والأكثر في كل ذلك ماتعلمته من تلاميذي (١٤). .

٤٣ ـــ مثل الدارس الذي لا يعلم غيره كمثل الآس في البرية(١٥). .

٤٤ ـــ كما أن الحديد يشحذ الحديد ، كذلك العقول تشحذ العقول .

٤٥ ـــ نصح الرِّبّيُّ يهودا تلميذه صموئيل « افتح فمك واقرأ ، وافتح فمك وادرس ، فبالكلام الحي وحده تتقدم الدراسة » (١٦) .

---

(١٣) الحصرم : العنب النيء أو غير الناضج Unripe Grapes .

«١٤». نظرة نافذة من حكيم مجرب ، وما من معلم خبير بصير الا وهو على هذا النحو : يتعلم من تلاميذه بتأملهم أكثر مما يتعلم من الآخرين وما من معلم اريب الا رأى صدقها في تجاربه .

(١٥) الآس او الريحان الشامي نبتٌ طيب الرائحة ، فإذا نبت في الصحراء حيث لا سكان بقربه لم ينتفع بطيبه أحد .

(١٦). مبدأ تربوي سديد .

٤٦ ـــ الدارسون في اليهودية Judaea نظروا في الكلام الصحيح فأفلحوا في دراستهم ، والدارسون في الجليل Galilee الذين استهانوا بصحة الكلام لم يفلحوا .

٤٧ ـــ حيثما يكن النظام مطلوبا في الدراسة يكن الفهم عسيرا(١٧) .

٤٨ ـــ من يدرس ولا يراجع ، فهو كمن يبذر ولا يحصد .

٤٩ ـــ تعلم أولا ، ثم فكر مستقلا(١٨) .

٥٠ ـــ يمكن المرء أن يقسم الطلاب أربعة أقسام : إنهم كالاسفنج والقمع والمصفاة ، والغربال : فالاسفنج يمتص كل شيء ، والقمع يترك كل شيء من جانب ويخرج من الاخر ، والمصفاة تترك الخمر يخرج ، وتبقى العكارة ، ولكن الغربال يترك التراب يسقط ويحفظ القمح .

٥١ ـــ ليكن شرف تلميذك عزيزا عندك كأنه شرفك ، وشرف زميلك كأنه شرف معلمك ، وشرف معلمك كأنه شرف السماء .

٥٢ ـــ احترم كل أحد ، كأنه معلم تعلمت منه شيئا .

٥٣ ـــ ما يسمعه المرء من غيره قد لا يكون إلا كلاماً معاداًباسم صاحبه

٥٤ ـــ المربي أحق باسم الأب من الوالد

٥٥ ـــ أدرس قبل كل شيء ، ادرس ، سواء لأجل العلم أو لأي سبب آخر . فإن الحوافز التي دفعتك أولا سرعان ما تحبب إليك الدراسة رغبة في العلم وحده(١٩) .

٥٦ــ ينبغي ان تعظم معلمك ولو أشد من تعظيم أبيك، فليس لأبيك فضلٌ إلا أنه جاء بك إلى الدنيا ، أما معلمك فهو يهديك الى طريق العالم الاتي ، لكن مبارك الابن الذي يتعلم من أبيه ، لأنه سيعظمه أبا وسيدا معا ومبارك الاب الذي يعلم ابنه .

---

(١٧) النظام لازم في التربية دون ان ينقلب حجرا أو قيدا .

(١٨) الفكر المستقل دون علم مجرد حماقة .

(١٩) قريب من هذا قول ينسب الى الامام الغزالي « طلبنا العلم لغير الله فأبى العلم الا ان يكون لله » .

٥٧ ــ قال هليل Hillel من لا يزدد معرفة ينقص معرفته وقال من يحاول ان يجعل من تاج المعرفة مغنما فنصيبه الهلاك .

٥٨ ــ قال هليل : (كن حواريا لهارون صديق السلام وناشر السلام ، وصديق كل البشر واجتذبهم إلى الشريعة) .

٥٩ ــ يقول الكتاب إنه يحيا بها (اي الشرائع) هذا يعني انه لن يموت خلالها فإنها لم تجعل احابيل لصيده حتى توقعه في حياة بغيضة .

٦٠ ــ الشريعة اعطيت للبشر لا للملائكة .

٦١ ــ من ينفذ التعاليم تامة فهو يعلن انه ليس أقل من قديس .

٦٢ ــ وقع جدب في الأرض وكانت مخازن القمح موضوعة تحت رعاية الربي يهودا المقدس لكيلا يوزعه الا على من كانوا مهرة في معرفة الشريعة ، فتأمل اذ أتاه رجل هو يوناثان بن عمرام ، وصاح يطلب منه نصيبه ، فسأله الربي ان كان قد عرف الشرط ونفذه ، عندئذ غير الرجل نغمته وقال (لا اطعمني كما يطعم الكلب من فتات المائدة) فرق الربي لكلماته واعطاه القمح .

عاشراً : الدين والعبادة

١ ــ التواضع والأعمال الصالحة أفضل من كل الذبائح .

٢ ــ لا يستطيع المرء الصلاة دون أن يجمع لها الخشوع ، فالصلاة بلا خشوع ــ جسد بلا روح .

٣ ــ إذا دخل المرء الصلاة فغمز خلالها أو حرك أصبعه فقد يقال له : لم تكن إياي تدعو .

٤ ــ في بيت الله ينبغي أن يكون كل شيء جميلا .

٥ ــ ينبغي للمرء أن لا يترك بيت الله بخطوات عاجلة .

٦ ــ كيف يحفظ المرء أيام الأعياد ؟ نصف لربه ونصف لنفسه .

٧ ــ لتأكل يوم السبت كما تأكل يوم العمل«١» فهو أولى بك من أن تضطر إلى قبول الصدقات .

٨ ــ نصح الكسندر جنوس Alexander Jannaus زوجته قائلا : (لا تخافي من الفريسيين Pharisees ولا من الصدوقيين Sadducees بل من الأدعياء الذين يعملون مثل زمري Zimri ويودون ان يكافئوا مثل فنحاس Phinehas .

٩ ــ سأل فيلسوف ذات مرة الربان جماليل قائلا (مكتوب في شريعتكم « لأن الرب إلهكم إله غيور » فهل تملك الأوثان ــ إذن ــ القوة التي تجعله غيورا منها ؟ الرجل القوي لا يغار إلا من الرجل القوي . والحكيم لا يغار إلا من حكيم والغني لا يغار إلا من الغني ! فلابد إذن أن تكون الأوثان قوية حتى يغار أحد منها) فقال الربان جماليل (عندما يسمى رجل كلبه باسم أبيه ، فإنه سرعان ما يجد الفرصة ليستخدم هذه الصيغة في القسم « وحياة هذا الكلب »

«١» يوم السبت يوم راحة إجبارية عند اليهود ، وبقية الاسبوع أيام عمل .

فممن يغار الأب إذن ؟ أمن الابن أم من الكلب ؟) فأجابه الفيلسوف (هناك جزء لم يزل له استعمال) فسأله الربان (على أي أساس ؟) ثم قال للفيلسوف : (انظر ، حدث مرة أن شبت النار في مدينة فأتت عليها إلا معبد وثن في المدينة ، أوليست الحقيقة أنه بخاصة كان محصنا ؟ ثم قال له الربان جمالئيل : (اسمع هذا المثل : يخرج ملك اللحم والدم للحرب ، فمع من يحارب ؟ مع الأحياء أم مع الموتى ؟) فقال له الفيلسوف (مع الأحياء ، ولكن لأنك تظن أن الأوثان غير نافعة ولو جزئيا ، فلماذا لا يمحقها الله من هذا العالم ؟) .

فقال له الربان جمالئيل : (الا تعبدون إلا شيئا واحدا ؟ انظر فإنكم تعبدون الشمس ، والقمر ، والنجوم ، والكواكب ، والجبال ، والتلال ، والوديان ، حتى الانسان أيضا . فهل يحطم الله العالم كله من أجل الأغبياء ؟) .

١٠ ــ إنه لخرف : من يقدر أموره بالوقت والساعة«٢» ويقول : (هذا اليوم صالح للرحلة وذلك اليوم سيجلب الحظ للمشترين ومن يعتد من نذير السوء : أن تسقط لقمة خبز من فم ، أو تسقط عصا من يد ، أو ينعق غراب في وجهه أو يعبر وعل الطريق مسرعا) .

١١ ــ قضى بعض الحواريين مرة يوم السبت في يبنه Jabne لكن الربى يشوع لم يقض السبت هناك ، وعندما أتاه حواريوه سألهم : ماتفسير الشريعة الجديد الذي قدم إليكم من يبنه ؟ فقالوا له : نحن نتبعك وحدك ، ولا نصغى الى تفسير للشريعة من غيرك) قال لهم (أي الربانيين قضى معكم السبت هناك ؟) فقالوا له : الربي اليعازر بن عازريا .

قال لهم (أيمكن أن يقضي الربي اليعازي بن عازريا السبت هناك دون أن يبلغكم تفسيرا جديدا للشريعة ؟) فقالوا له : (هذا هو القانون الرئيس الذي

«٢» المقصود من ذلك هو اتباع أقوال المنجمين فيما يزعمونه من خرافات كتقسيمهم مطالع النجوم والكواكب بين السعد والنحس ، وتقسيمهم الأوقات والساعات تبعا لذلك سعود ونحوسا .

عرضه امامنا (انتم تقومون هذا اليوم كلكم أمام الرب إلهكم ، صغاركم وزوجاتكم) (التثنية ٢٩/١٠ — ١١)«٣» .

هل يعرف الأطفال الصغار أن يفرقوا بين الخير والشر ؟ لكن من أجل أن يثاب من ولدوهم ، ومن أجل أن يجزل ثواب من يعمل مشيئة الله ، ومن أجل أن ينفذ ما قاله (الرب فرح من أجل بره وهو سيعظم الشريعة ويجعلها مكرمة) .

فقال لهم الربي يشوع (يالتفسير الشريعة إماذا يمكن أن يكون أحدث من هذا ؟ انظروا ، أنا الان في سن السبعين تقريبا ، ولم أنل الشرف حتى الآن بمثل هذا التفسير ! ، السلام عليك ياأبانا إبراهيم Abraham فإن اليعازر بن عازريا قد خرج من صلبك ! فليس يتيما ذلك الجنس الذي يسكن بينه الربي اليعازر بن عازريا !) .

١٢ — يجب أن يكون قدس Sanctuary الأحد القدوس بخاصة محبوبا ، لأن الأحد القدوس — تبارك اسمه — حين خلق عالمه لم يخلقه إلا بيد واحدة لأنه قيل (بيدي أيضا وضعت أساس الأرض)«٤» (إشعيا ٤٨/١٣) لكن عندما أتى ليشيد القدس«٥» خلقه بكلتا يديه : فقد قيل (القدس الذي أسسته أيها الرب بيديك) (الخروج ١٥/١٧) متى تعيد بناءه بكلتا يديك ؟«٥»

١٣ — اسم الانسان هو ما يكون إياه ويصف شخصيته ، عندما قال

«٣» هذا نص الايتين المشار إليهما هنا ، نقلا عن الترجمة العربية «١٠ — انتم واقفون اليوم جميعكم أمام الرب الهكم :رؤساؤكم أسباطكم شيوخكم وعرفاؤكم وكل رجال اسرائيل ١١٠ — وأطفالكم ونساؤكم وغريبكم الذي في وسط محلتكم ممن يحتطب حطبكم إلى من يستقي ماءكم » .

«٤» نص الاية كلها كما في الترجمة العربية (ويدي أسست الأرض ، ويميني نشرت السماوات) .

«٥» هذا المنهج في تفسير الكتب المقدسة منهج حرفي ، وهو شائع بين كثير من المفسرين ونحوهم من المشتغلين بتوضيح الشرائع والعقائد في الأديان المختلفة وهو منهج لا يلجأ إليه إلا عامي ، ولا يقبله إلا عامي مثله أو دونه ، ولكنه أقرب المناهج إلى العامة واحبه إليهم وأن كان معثرة لكل ذلك ، لأنه يؤدي به إلى الجمود والتخلف والفساد .

يعقوب للملاك الذي صارعه عند مخاضة يبوق : (اخبرني باسمك رجاء) فإنه كان يعني (اخبرني من تكون)«٦» وبطريقة مشابهة يكون اسم الرب هو الرب نفسه ، كينونته الخالصة وجوهره ، ولهذا قيل (هم يحبون اسمه) (المزامير ١١٩/٣٦) وذلك يعني (حب الرب) و(بماذا احتقرنا اسمك)«٧» (ملاخى ١/٦) معناها (احتقرناك) لهذا يجب أن يكون اسم الله مقدسا ، لأنه الله نفسه ..

١٤ ــ حدث أن كان ابن الربان جمالئيل مريضا . فأرسل الأب شابين من حوارييه إلى ربي حانيا Chania بن دوسا ليصلي من أجل الابن المريض عندما رآهما بن دوسا صعد إلى الشرفة وصلى . وعند نزوله قال للرسولين : « إذهبا فإن الحمى ذهبت عنه » فقالا له : (ألست نبيا) فأجابهما : (لست نبيا ، ولست ولد ابن نبي ، ولكن لي عادة منذ عهد بعيد ، أن صلاتي إذا انسابت بطلاقة من بين شفتي عرفت أنها مقبولة ، وإلا عرفت أنها مرفوضة) فانحنيا له ، وسجلا الساعة بدقة .

وحين رجعا إلى الربان جمالئيل قال (أقسم بخدمة المعبد أنكما لم تسجلا نقصا ولا زيادة بقدر دقيقة بل الوقت المضبوط الذي تركته الحمى فيه ، فطلب ماء ليشرب) .

«٦» سياق هذا القول كما في قصة يعقوب وفق رواية التوراة (الخروج الاصحاح ٣٢) ان يعقوب اختلف مع شقيقه الأكبر ــ عيسو ــ الذي كان له حق البكورية ، فاختلسها منه يعقوب بأن خدع أباهما وغشه بمساعدة أمهما ، فارتحل يعقوب إلى خاله ، وتزوج بنتيه ثم تزوج جاريتين أيضا ، فتم له أحد عشر ولدا ، ثم انفصل عن خاله ، وأراد الرجوع الى دياره ، وكان لابد له أن يمر بموطن عيسو شقيقه ولكنه خافه لأنه أقوى منه ، وكان غاضبا عليه لغشه إياه من قبل ، فاحتال لدفع عداوته بالملق والرشوة ، إذ أخذ قطعانا من الغنم والبقر والحمير ، وأرسلها متفرقة مع عبيده هدية إلى عيسو ، فساروا متفرقين مع القطعان ، وكان مما اوصاهم به واحدا فواحدا .

«٧» هذا نص الاية كلها والايتين التاليتين لها كما جاءت في الترجمة العربية (٦ ــ الابن يكرم أباه ، والعبد يكرم سيده . فإن كنت أنا أبا فأين كرامتي وأن كنت سيدا فأين هيبتي قال لكم رب الجنود أيها الكهنة المحتقرون اسمي . وتقولون بم احتقرنا اسمك . ٧ ــ تقربون خبزا نجساً على مذبحي . وتقولون بم نجسناك . بقولكم إن مائدة الرب محتقرة ٨ ــ

١٥ ــ لكل أمة ملاكها الحارس الخاص ، وطوالعها وكواكبها ونجومها الخاصة . ولكن لا كوكب لاسرائيل . اسرائيل لا تنظر إلا الى الله . لا وسيط بين من يدعون أطفال الله وأبيهم الذي في السماء .

١٦ ــ كما يملأ الله الكون كله ، كذلك تملأ الروح الجسد كله ، وكما أن الله يرى ولا يرى ، كذلك الروح يَرى ، ولا يُرى ، وكما أن الله يمد الكون كله ، كذلك الروح تمد الجسد كله ، وكما أن الله طاهر ، كذلك الروح طاهرة .

١٧ ــ كل شيء بين يدي الله يأمن خوف الله .

١٨ ــ ساعة واحدة من التوبة والأعمال الصالحة في هذه الدنيا أفضل من الحياة كلها في هذا العالم .

١٩ ــ نقرأ (الخروج ١١/١٧) أن موسى حين كان يرفع يديه ــ في المعركة مع العمالقة ــ كانت اسرائيل تنتصر . فهل أحدثت يدا موسى قتالا أو وقفتا قتالا ؟ .. لكن هذا يبين أن إسرائيل طالما رفعت أبصارها وخشعت قلوبها أمام أبيها الذي في السماء فإنها تنتصر ، وإلا تسقط . بالطريقة نفسها (العدد ٩/٢١) نجد أن موسى صنع حية من نحاس ووضعها على الراية ، فكان متى لدغت حية إنسانا ونظر إلى حية النحاس يحيا ، فهل يظن أن الحية تقتل أو تمد الحياة ؟ لكن طالما اسرائيل متطلعون إلى أبيهم الذي في السماء فإنهم يحيون ، وإلا فإنهم يموتون .

٢٠ ــ سأل النبي (هل يجد الله مسرة في لحوم الذبائح ودمائها)«٨» لا ، أنه لا يفرضها كثيرة فهو يقول (من أجلكم لا من أجلي ماتقدمون) مثلما يرى ملك إبنه يسكر يوميا مع كل أنواع الرفقاء الأشرار ، فيقول : (أنت منذ

وإن قربتم الأعمى ذبيحة أفليس ذلك شرا وإن قربتم الأعرج والسقيم . أفليس ذلك شرا . قربه لواليك أفيرضى عليك أو يرفع وجهك قال رب الجنود) (ملاخي ٦/١ ــ ٨) . قارن أحكام الذبائح أو الأضاحي هنا والمقبول منها والمرفوض شرعا ــ بنظائرها من أحكام الشريعة الاسلامية في مظانها من كتب الحديث والفقه .

«٨» في القرآن الكريم مما يبين الغرض من الذبائح أو الأضاحي (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن يناله التقوى منكم) (الحج ٣٧) .

الآن ستأكل وتشرب وفق رغبتك على مائدتي الخاصة) . هم يقدمون الذبائح للجن والشياطين ، لأنهم يحبون ذبحها ولا يعملون بدونها . وقال الرب : قدم قرابينك إلي ، فإنك على الأقل تقدمها للاله الحق .

٢١ ــ من يقدم قربانا كاملا يكافأ بقربان كامل ، ومن يقدم قربانا محرقا يكافأ بقربان محرق ، ولكن من يقدم التواضع أمام الله والبشر ينل ثوابا كأنه قدم كل الذبائح في العالم .

٢٢ ــ الصلاة سلاح إسرائيل ، سلاح موروث عن آبائهم ، سلاح يجرب في ألف معركة .

٢٣ ــ حتى حين تكون أبواب السماء مغلقة أمام الصلاة ، فإنها تكون مفتحة أمام أصحاب الدموع .

٢٤ ــ كرم الضيافة أهم شعبة في العبادة الالهية .

٢٥ ــ اضرب الآلهة .

٢٦ ــ من أجل رجل واحد بارّ يبقى العالم محفوظا ، كما هو مكتوب (الرجل البار أساس دائم)«٩» (الأمثال ٢٥/١٠) .

٢٧ ــ قال الربي مئير (التوبة عظيمة ، فمن أجل تائب واحد سيغفر للعالم كله) كما هو مكتوب (أنا سأشفي نكستهم ، سأحبهم تفضلا ، لأن غضبي قد أرتد عنه) لم يقل (عنهم) بل (عنه) (هوشع ٤/١٤) .

٢٨ ــ كان رجل اسمه ناحوم جمزوجرت العادة أن يسمي (هذا أيضا خير) وإنما كان يدعي كذلك لأنه مهما يكن من أمر فإنه دائما كان يقول (هذا أيضا خير) وكان الربي عقيبا يقول (مهما يفعل الله فهو حسن) كان مرة في رحلة طويلة مجهدة ، فأتى قرية صغيرة ، لكن لم يكن في الامكان ان توافقه ، لهذا اعتزل الى غابة قائلا (مهما يفعل الله فهو حسن) وكان معه هناك مصباح وديك وحمار ، فأما المصباح فقد أضاءه ليرشده ولكن الريح أطفأته ، فتركه في الظلام فقال (مهما يفعل الله فهو حسن) ثم أقبل قط

«٩» نص الاية في الترجمة العربية (كعبور الزوبعة فلا يكون الشرير ، أما الصديق فأساس مؤبد) .

متوحش من الغابة فخطف ديكه فقال ثانية (مهما يفعل الله فهو حسن) ثم سقط أسد على حماره فقتله ، فكرر ثانية قوله المؤمن .

وعلى طريقه خلال القرية وجد أن قطاع الطرق قد ظهروا خلال الليل قد نهبوا وقتلوا بعض السكان ، فامتلأ قلبه بالشكر لأنه هو باق ، وأحس أنه قد اضطر أن يتخذ مأوى في الغابة خلال الليل فنجا بهذه الطريقة من الموت ، كما أحس أيضا أن لو مصباحه استمر مضيئا ، أو لو ديكه صاح أو لو حماره نهق لاهتدى قطاع الطرق إلى مكمنه ، لهذا كان الربي عقيبا مفعما بالشكر والثناء .

فلتكن كذلك شكور فكما حدثت الأمور تحدث الان (كل ما يفعله الله فهو حسن) .

٢٩ ــ يقول ربي شماى Samai (إذا أحد حفظ الشريعة ونفذ مشيئة الله ، تأمل ، فإنه يكون كالقديسين علوا) .

٣٠ ــ وجه رباني الطلب الآتي إلى صموئيل بن«١٠» نحمان (لقد سمعت أنك سيد الهجاداه Haggadah فاخبرني إذن من أين يأتي نور العالم ، فأجابه : (الأحد القدوس ــ تبارك اسمه ــ يلف نفسه في رداء أبيض ، وكل العالم يسطع ببهاء عظمته) هذا ما قاله في همس ، فاستطرد السائل (ويحي هذه عبارة المزمور كلمة كلمة (المزامير ١٠٤/٢) (انت تغطي نفسك بالنور كرداء وأنت تخبرني به كأنه سر) فأجابه : (لقد سمعته كأنه سر وانقله كأنه سر) .

٣١ ــ تحت أجنحة السرافيم تمتد أذرع الرحمة الالهية ، مستعدة دائما لتقبل الخاطئين .

«١٠» في الاصل (بار bar) وهي في السريانية بمعنى (ابن) .

(حـادي عشـــر ــ امثـال)

١ ــ قال ربى يوسى الجليلى : ورث رجل حقلا ، يمكن ان يبذره رجل بمكيال قمح ــ لكنه باعه بثمن زهيد ، وجاء الشارى ففتح فيه آبارا وغرس حدائق وغابات . فشرع بائع الحقل يغضب لأنه اضاع ميراثه بثمن زهيد .

قال ربى شمعون بن يوشع   ورث رجل ضيعة كبيرة في الشمال البعيد لكنه باعها بثمن زهيد فجاء الشارى ونقب في الضيعة واستخرج منها كنوز الفضة وكنوز الذهب والحجارة الكريمة واللآلى . فبدأ البائع يغضب .

مثل هذا هو ما حدث مع المصريين . أبعدوا اطفال اسرائيل ولم يعرفوا ماذا أبعدوا .

٢ ــ قال ربى يهودا (سار رجل في طريق ووضع أبنه أمامه ، فجاء اللصوص ليأخذوه اسيراً ، فوضعه خلفه فجاءه من خلفه ذئب ليهاجمه ، عندئذ وضع الرجل ابنه أمامه ثانية فأتى اللصوص من أمامه والذئاب من خلفه . فاخذ الرجل ابنه واحتضنه بين ذراعيه . لكن بدأ الابن يشعر بالآلام بسبب الشمس ، فنشر أبوه رداءه فوقه ، وعندما جاع ابنه أعطاه ليأكل ، وعندما عطش أعطاه ليشرب)

هذا مافعل الاحد القدوس تبارك اسمه ، فقد قيل (أنا علمت أفرايم كذلك أن يسعوا ، واخذتهم بذراعى ، لكنهم لم يعرفوا أنى شفيتهم) (هوشع ٣/١١) حينما يبدأ الابن يعاني من الشمس فإنه يبسط رداء فوقه لانه قيل (هو يبسط السحاب للغطاء ، والنار لترسل النور ليلا) (المزامير ٣٩/١٠٥) . حينما يكون ابنه جائعا يعطيه ليأكل لانه قيل (تأملوا أنا أمطر خبزا من السماء لكم) وحينما يكون عطشان يعطيه ليشرب لأنه قيل : (هو استنبط الجداول ايضا من الصخور ، فجعل المياه تجري كالأنهار) وكانت عيونا من الماء الحي لأنه قيل (ينبوع الحدائق وبئر المياه الحية والجداول من لبنان) (نشيد الأنشاد ١٣/٥)

٣ ــ قال ربى شمعون بن العازر (عين أحد الملوك مراقبين ليحميا ماله : أحدهما لحماية التبن ، والاخر لحماية الفضة والذهب . فاما المعين للاشراف على التبن فلم يتصرف بأمانة ، ومع ذلك كان يتذمر من أن الملك لم يعينه للاشراف على الفضة والذهب . عندئذ قال له المؤتمن على الفضة والذهب : أنت لاتصلح لشيء ! إذا كنت غير أمين على التبن فأولى ان لاتكون أميناً على الفضة والذهب ، وعلى هذا النحو أطفال نوح لم يستطيعوا أن يطيعوا الوصايا السبع التي أعطوها ، فأقل من ذلك أن يحفظوا الوصايا الثلاث عشرة والستمائة التي في التوراة .

٤ ــ جلس ملك في مجلس القضاء لاجراء العدالة حتى انتشر الظلام ، ومكث ابناؤه معه حتى اظلم المكان ، وحين ترك مجلس القضاء اخذ مصباحا وانار الطريق لابنائه . ولكن كبار المملكة كانوا مستعدين لذلك فقالوا له : (نحن نأخذ المصباح وننير الطريق لابنائك) فقال : (لا افعل ذلك لأنى لا اجد من يحمل المصباح عنى وينير الطريق لابنائي ، بل افعله لكي يُعرف حبى لابنائي ولكى تعاملوهم باحترام) .

وعلى هذا النحو سار الاحد القدوس تبارك اسمه : اظهر لأمم العالم حبه الذي احبه لاسرائيل ، فانه ظهر بشخصة امامهم في عمود سحاب نهارا وفي عمود نار ليلا حتى تعاملهم الامم باحترام .

٥ ــ كان لملك حديقتان احداهما في داخل الأخرى . باع الحديقة الداخلية ثم جاء الشارى ليدخل ، لكن الحارس لم يسمح له فقال له الشارى (بأسم الملك) ولكنه لم يطعه فأراه خاتم الملك امارة ولكنه لم يطعه ، واخيرا جاء الملك نفسه مع الشارى فلما وصل الملك الى الحارس بدأ يهرب فقال المالك له : (انا طوال اليوم كله اكلمك باسم الملك ولكنك لم تطعني فلماذا تهرب الأن ؟) فقال الحارس له (لا من اجلك اهرب بل من اجل الملك)

وعلى هذا النحو وقف موسى قرب البحر . كلمه موسى بأسم الاحد القدوس ــ تبارك اسمه ــ ان ينفلق ، فلم يطعه . ثم اراه عصاه ، لكنه لم يطعه

واخيرا تجلى الأحد القدوس ــ تبارك اسمه ــ فكشف ذاته في جلاله وقوته وعندئذ بدأ البحر يهرب فانه قيل : (البحر رآه فهرب) (المزامير ١١٤/٣) فقل له موسى : (انا طوال اليوم كله اكلمك باسم الاحد القدوس ولكنك لاتطعني فلماذا تهرب الان ؟ (المزامير ١١٤/٥) حينئذ قال له (لا من اجلك اهرب ياابن عمرام بل من اجل السيد الذي تهرب الأرض امامه من اله يعقوب الذي حول الحجر ماء قائما والصخر ينبوع مياه (المزامير ١١٤/٧ ــ٨)

٦ ــ هربت حمامة يوما من صقر فشقت طريقها الى غرفة مائدة الملك ففتح الملك النافذة الشرقية لها ، فأفلتت وامنت . وأضطر الصقر أن يعتسف طريقة الى الغرفة خلفها فاغلق الملك عليه كل النوافذ وبدأ يطلق عليه السهام .

وعلى هذا النحو خرج آخر الاسرائيليين من البحر حين نزله اول المصريين فبدأ الملائكة يرشقونهم بالسهام ويقذفونهم بحبات البرد والنار والكبريت .

٧ ــ أتى ملك من لحم ودم إلى مدينة كبيرة ، وكان محاطاً بالحراس ، والابطال عن يمينه وشماله ، والجيوش من أمامه وورائه . سأل الجميع (من الملك ؟) فلم يستطيعوا أن يميزوه لأنه كان مثلهم من لحم ودم .

ولكن الأحد القدوس ــ تبارك اسمه ــ أظهر نفسه عند البحر ، فلم يكن أحد منهم يحتاج ليسأل (من الملك ؟) فما ان رأوه حتى عرفوه ، وبدأوا نشيد ثنائهم عليه (هو إلّهنا) (الخروج ١٥/٢)

٨ ــ كان هناك (ملك من لحم ودم) له إبنان. أحدهما طويل والاخر قصير . دخل حجرته ليلا وقال للصغير (أيقظني عند شروق الشمس) لكنه قال للطويل (أيقظني الساعة الثالثة) ثم جاء الصغير ليوقظه عند شروق الشمس ، ولكن الاكبر لم يسمح له بذلك قائلا : لقد بلغني الملك أن أوقظه الساعة الثالثة اليوم) ولكن الصغير قال له : (هو قال لي عند شروق الشمس) وبينما كانا واقفين هناك وكلاهما يصرخ في الاخر استيقظ الملك فقال لهما : (يا ولديَّ ، كلاكما كان له غرض أن يصون شرفي ، ولهذا لن احرمكما مكافأتكما) .

وعلى هذا النحو وقف الأسباط الاثنا عشر عند البحر ، فقال سبط (أنا أولا أنزل البحر) وقال آخر (أنا أولا أنزل البحر) وبينا هم هناك يصرخ كل في الاخر إذا سبط بنيامين يقفز ماضيا وينزل أولا في البحر ، فقد قيل (هناك بنيامين الصغير مع حاكمهم وأمراء يهودا ومجمعهم وأمراء زبولون وأمراء نفتالي قد أمر إلهك بتأييدك . أيد ياإله ما فعلته لنا) (المزامير ٢٧/٦٨ ـــ ٢٨) .

قال ملك لخادمه (اذهب وأتني بسمكة من السوق) فذهب وأحضر له سمكة ، لكنها كانت كريهة الرائحة . فقال له سيده اني قررت أنك بين أن تأكل السمكة أو تتلقى مئة سوط . أو تغرم الى مائة دينار) قال له الخادم : (مهلا آكلها) وبدأ يأكل لكنه لم يستطع أكلها إلى النهاية ، فصاح : (فلأضرب) ، فتلقى ستين سوطا ، لكنه لم يكن قادرا أن يتحمل العذاب إلى النهاية فصاح : (سأدفع مائة دينار) وهكذا أكل السمكة ، وتلقى السياط ودفع مائة دينار .

ومثل هذا النحو حدث مع المصريين . تلقوا العقاب ، وأبعدوا الاسرائيليين وأخذت منهم نقودهم . فإنه قيل : (تغير قلب فرعون وعبيده على الشعب فقالوا : ماذا فعلنا حتى اطلقنا اسرائيل من خدمتنا) (الخروج ٥/١٤ ، ٢٢/٣) .

١٠ ـــ كان لملك ابن قد رحل إلى قطر بعيد ، فرحل الملك خلفه وأقام معه . فرحل الابن إلى قطر آخر ، فرحل الملك خلفه وأقام معه .

ومثل هذا حدث مع أطفال اسرائيل . حين هبطوا مصر كان معهم ... Shechinah فإنه قيل : (سأهبط معكم مصر) وحين صعدوا إلى فلسطين كان معهم ... فإنه قيل : (وأنا يقينا سأصعدك أيضا) (التكوين ٤/٤٦) وهبطوا البحر فكان معهم .. فإنه قيل : (فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر اسرائيل وسار وراءهم) ، (الخروج ١٩/١٤) . وخرجوا للبرية ، فكان معهم ... ، فإنه قيل (والرب سار أمامهم طول النهار في عمود سحاب) . إلى أن جاء الله بهم إلى مقدسه ، وهكذا قيل : (ما جاوزتهم إلا قليلا حتى وجدت من تحبه نفسي فأمسكته ولم أرخه حتى أدخلته بيت أمي وحجرة من حبلت بي) (نشيد الانشاد ٤/٣) .

١١ ــ (تمد يمينك فتبتلعهم الأرض) (الخروج ١٥/١٢) ماذا يشبه هذا ؟ مثل لص دخل وهزأ وراء قصر الملك ، قائلا : إذا وجدت ابن الملك أمسكته وقتلته وذبحته ، ومثلت به تمثيلا شنيعا .

وعلى هذا النحو دخل فرعون وهزأ بالاسرائيليين في أرض مصر ، قائلا : اتبع ، انهب ، اقسم الغنيمة) (الخروج ١٥/٦) لكن الكتاب المقدس يقول : (نفخت بريحك فغطاهم البحر) (الخروج ١٥/٩ ــ ١٠)«١» ويقول أيضا : تمد يمينك فتبتلعهم الأرض)«٢» .

١٢ ــ قرر ملك أن لا يدخل ابنه القصر معه . دخل الابن أول باب فلم يقل له أحد شيئا ، ودخل الباب الثاني فلم يقل له أحد أي شيء . ودخل الباب الثالث فوجد معارضة له . قالوا له : (كفى ! إلى هنا يمكنك السير ، لا إلى أبعد) .

وعلى هذا النحو غزا موسى أرض شعبين : سيحون وعوج ، واقطعها لبني رأوبين وبني جاد ونصف سبط منسى ، فقالوا له : ان قرارك أن لا ندخل الأرض شرقي الاردن منح .. وعلى هذا سنعاقب ..

١٣ ــ دخل رجل اقليما وقال لمن يسكنونه هناك : سأكون عليكم ملكا .. فقالوا له : هل قدمت أي شيء من أجلنا حتى تملك علينا ؟ فماذا فعل ؟ بنى لهم سورا ، وشق لهم مجرى ماء ، وشن حروباً للدفاع عنهم ، ثم قال لهم : الآن سأملك عليكم .. فأجابوه : نعم ، نعم ..

وعلى هذا النحو قاد الله الاسرائيليين خارج مصر ، شق لهم البحر ، وأنزل لهم المن ، وجعل عيون الماء تتفجر لهم ، وشن حروباً للدفاع عنهم ضد عماليق ، ثم قال لهم (سأملك عليكم) فأجابوه (نعم ، نعم) .

١٤ ــ دخل ملك من لحم ودم إحدى المدن ، فأقام فيها تماثيل وصنع لنفسه صورا ، وسك نقودا . وبعد مدة قليلة سقطت تماثيله ، وتحطمت

«١» هذه الجملة في الاية العاشرة وحدها ، وليس في ٩ ــ ١٠ معا كما في الاشارة هنا .
«٢» (الخروج ١٥/١٢) .

صوره ، وبارت نقوده ، وهكذا تهاوى رسم الملك وعلى هذا النحو ، يبُن الكتاب ان من سفك دم إنسان فقد حطم صورة الملك ، لأنه قيل : من يسفك دم إنسان يسفك أنسان دمه ، فالله على صورته صنع الانسان . (التكوين ٩/٦) .

١٥ ــ في تلك الساعة كان أطفال اسرائيل كحمامة تهرب من وجه صقر ، وتتخذ ملجأ في شق صخرة فأقبلت حية تفح في وجهها فإذا تقدمت لقيتها الحية وأذا خرجت للفضاء لقيها الصقر .

وكذلك كان الحال مع الاسرائيليين في تلك الساعة سد البحر طريقهم حين كان العدو يزحمهم من خلف . عندئذ وجهوا أنفسهم للصلاة . وهذا ما يشير إليه الكتاب بوضوح إذ يقول : (ياحمامتي في شقوق الصخر ، وفي ستار المعاقل) (نشيد الانشاد ٢/١٤) وقيل : (لأن صوتك عذب وطلعتك جميلة) (نشيد الانشاد ٢/١٤) (لأن صوتك عذب) يشير إلى الصلاة ، (وطلعتك جميلة) يشير إلى دراسة التوراة .

١٦ ــ خرج رجل من منزل جاره محملا بالأمتعة ، فلقيه رفيق له ، فسأله : ماذا تفعل هنا ؟ فأجابه : خذ نصيبك ولا تخبر أحدا . وبعد فترة جاء صاحب المال المسروق وقال له : احلف لي أنك لم تر أحدا يخرج من بيتي محملا بالأبمعتة . فقال الرجل : أقسم لك أني لا أعلم ما تقول . ولكن صاحب المال أحس في قلبه أن الرجل مذنب . فيقول عنه : من يقاسم سارقا يبغض نفسه . (الأمثال ٢٩/٢٤) .

١٧ ــ أراد ثعلب أن يدخل كرما ، ولكن سوره العالي الذي يحيطه حال دون دخوله . ولم تكن هناك إلا فتحة ضيقة في السور ، ولكن الثعلب كان أسمن من أن يحشر نفسه خلالها . فماذا فعل الثعلب ؟ أجاع نفسه ثلاثة أيام حتى صار نحيفا بحيث يستطيع أن يزحف من خلال الفتحة . ثم أطعم نفسه من الكرم حتى التخمة . وعندما حاول الخروج كانت معدته مكتظة ثانية فلم يستطع الخروج . فاضطر إن يصوم ثلاثة أيام . ولما صار طليقا التفت حوله وصاح : (أيها الكرم ، أيها الكرم ، ما أجملك وما أطيب ثمارك ، ولكن آه ،

هزيلا دخلتك ، وهزيلا خرجت منك) وهكذا الأمر حتى الحياة ، لهذا قيل : (عاريا خرجت من بطن أمي ، وعاريا أعود إلى هناك) (ايوب ٢١/١) .

١٨ ــ احتشد مرة جمهور عظيم في فرح عند ميناء من أجل تدشين سفينة في البحر فلما انسابت هلل الناس ، وصدحت الموسيقى المرحة ، وسرعان ما دخلت الميناء سفينة ، فلم يعن نفسه بها أحد . والقت مراسيها في سكون ولا تحية . وكان على مقربة منها فيلسوف ، ففكر في نفسه (ماأعجب ما يتصرف الناس ! ألم يكن أولى بهم أن يهللوا للسفينة التي نجت بسعادة من أخطار البحر ، وعادت إلى الميناء محملة بالكنوز الغنية . انهم ــ على العكس ــ يهللون للسفينة التي لم يعرف حظها ، والتي لابد أن تواجه كثيرا من الأخطار . الطفل الحديث الولادة كسفينة في بداية رحلتها ، والمحتضر كسفينة توشك أن تدخل الميناء) ..

١٩ ــ دخل اللصوص مرة قصر الملك ، فسرقوا متاعه ، وقتلوا حاشيته ، وحطموا بيته . وبعد وقت جلس الملك لمحاكمتهم ، فسجن بعضا ، وقتل بعضا ، وشنق آخرين ، ثم استقر ثانية في قصره ، وكان لمملكته بعد ذلك سمعة حسنة .

وعلى هذا النحو قيل (المقدس الذي هيأته يداك يارب ، الرب يملك أبدا أبدا)«٣» (الخروج ١٧/١٥ ــ ١٨) .

٢٠ ــ كان لرجل مولى يحميه فإذا أصابه شر لم يدخل فجأة الى حضرة مولاه ، ولكنه يمضي إليه ويقف على باب منزله ، ولا يطلب لقاء المولى . بل يطلب عبده المقرب ، أو ابنه ، الذي يدخل إلى المولى ويقول له : (رجل يقف على باب الدهليز ، أيدخل أم لا ؟) .

ليس كذلك الأحد القدوس ــ تبارك اسمه ــ فإن التعاسة إذا حلت بأحد فلا يصرخ لميكائيل ، ولا لجبرائيل ، بل لي يصرخ ، فأجيبه سريعا ، كما قيل : (كل من يدعو باسم الرب ينجو) (يوئيل ٣٢/٢) .

«٣» ورد هذا النص .

٢١ ـــ دعا ملك خدمه إلى وليمة كبيرة ، ولم يحدد ساعتها . فذهب بعضهم إلى بيوتهم ولبسوا أفخر حللهم ، ووقفوا عند باب القصر . وقال الاخرون : (هناك وقت كاف ، والملك سيخبرنا مقدما) لكن الملك دعاهم فجأة ، فاستقبل الذين جاءوا بأفخر حللهم استقبالا حسنا ، ولكن الأغبياء الذين جاءوا في مباذلهم ردوا باحتقار . فتب اليوم قبل ان تدعى غدا«٤» .

«٤» سبق عرض هذه القصة .

ثاني عشر : ثلاث قصص من هليل

١ ــ بعد أن استأذن هليل الكبير من حوارييه عند ختام درسه سار معهم بعض الطريق فسأله حواريوه (ربي أين تذهب) فقال لهم : (أنا ذاهب لأقوم بواجب مقدس) قالوا له : (ما طبيعة هذا الواجب ؟) فقال لهم : (لأغتسل في حمام المنزل) قالوا : (كيف يمكن أن يكون واجبا مقدسا ؟) فقال لهم : (نعم إن تماثيل الملك التي يعنى الناس بإقامتها في المسارح والملاعب لها سادنها الذي يعني بغسلها ويحافظ عليها نظيفة ، فيقدم له الناس معاشه من أجل هذا العمل . نعم وهو بفضل هذه الوظيفة يأخذ مكانه بين أغنياء المملكة . فكيف لا يكون هذا أجدر بي أنا الذي خلقت على صورة الله كما هو مكتوب (خلق الله الانسان على صورته) (التكوين ١/٢٧) .

٢ ــ في مرة أخرى ، بعد أن استأذن هليل الكبير من حوارييه في نهاية درس ، سار معهم بعض الطريق ، فقالوا له : (ربي ، أين تذهب الآن ؟) فأجابهم : (أذهب لأظهر المودة لضيف في المبيت) فقالوا له : (أفي بيتك ضيف كل يوم) فأجابهم : (أليست هذه الروح المحبوسة ضيف في الجسد ، اليوم هي هنا ، وقد لا تكون هنا غدا) .

٣ ــ سأل أحد المسترشدين هليل : (كم الشرائع ؟!) فأجابه : (اثنتان ، واحدة مكتوبة ، والأخرى شفوية) وهنا قال السائل : (أنا أقبل الأولى ، ولكن لا أرى لماذا يجب أن أؤمن بالثانية ؟) فعلمه هليل الابجدية العبرية . وفي الغد عكس هليل نظام الحروف فقال المسترشد : (إنك لم تعلمني هكذا أمس) فأجابه هليل : (الا تثق بي ؟ فاقبل إذن الشريعة الشفوية بمثل هذا الايمان الطيب) .

ثالث عشر : الحياة الأسرية

١ ــ من يتزوج إمرأة لغناها يلد أطفالا متمردين .

٢ ــ من الغني ؟ هو من له زوجه جميلة ، ولا سيما جميلة في الطبع .

٣ ــ إذا كانت المرأة مستقيمة وفاضلة كانت كالخمر التي تعصر من العنب الفاخر ، فقد قيل : (ستكون امرأتك ككرمة مثمرة في جوانب بيتك الباطنة) (المزامير ١٢٨/٣) .

٤ ــ السلام أساس الغبطة الزوجية .

٥ ــ إذا كان الزوج والزوجة فاضلين سكن الله معهما وبارك فيهما .

٦ ــ من يحب زوجته كنفسه ، ويكرمها أكثر من نفسه ، ويهدي أبناءه وبناته طريق الحق ، ويزوجهم في الوقت المناسب ــ فهو الذي قيل فيه (وستعرف أن خيمتك آمنة ، وستزور مأواك ، ولن تفقد شيئا) (أيوب ٥/٢٤) .

٧ ــ على الزوج أن يحرص دائما على معاملة زوجته باحترام ، فبركة البيت تعزى إليها .

٨ ــ قال ربي أبيقا لمواطنيه (كرموا زوجاتكم فإن هذا سيجعلكم مفلحين) .

٩ ــ ليكن الزوج ولو بقدر نملة فإن الزوجة مع ذلك ستضع نفسها بين الكبار .

١٠ ــ لو لم يكن الزوج إلا حارس حقل لكانت الزوجة قانعة ، ولم تسأل عدسا في القدر .

١١ ــ لو لم يكن الرجل إلا ماشط صوف لدعته الزوجة إلى المقعد على باب المنزل وجلست إلى جواره .

١٢ ــ ليأكل الرجل ويشرب بأقل مما تحتمل موارده ، وليلبس نفسه بما يناسب موارده ، وليكرم زوجته بما فوق موارده .

١٣ ــ المرأة في الستين تلاحق الموسيقى كطفلة في السادسة .

١٤ ــ ليحترس الزوج من إلحاق ألم بزوجته ، فإن دموعها تسيل بسهولة .

١٥ ــ المرأة الفضلى هي التي تنفذ مشيئة زوجها .

١٦ ــ حياة من تحكمه زوجته ــ ليست حياة .

١٧ ــ من تسيطر عليه زوجته فتعاسته من نفسه .

١٨ ــ الزوجة السيئة كاليوم الممطر .

١٩ ــ إذا كانت زوجتك قصيرة فطاطيء وأهمس في أذنها .

٢٠ ــ لو كان لزوجة مئة من العبيد لكان واجبها العمل ، لأن البطالة تؤدي إلى التبذير .

٢١ ــ إذا ماتت الزوجة الأولى فكأنما سقط المعبد .

٢٢ ــ إذا زوج الرجل ابنته من جاهل فكأنما رمى بها مقيدة أمام أسد .

٢٣ ــ وقف الربان شمعون بن جماليل مرة على برج المعبد فرأى أممية رائعة الجمال ، فعجب قائلا : (ماأجمل أعمالك ، يارب)

٢٤ ــ حين رأى ربي عقيبا زوجة ترنس روفس الجميلة ــ انفجرت دموعه وقال : (أبكي لأن مثل هذا الجمال لابد ان يبلى يوما في التراب)

٢٥ ــ ضرب ربي يوحانان مثلا للتقوى : بعذراء فائقة الجمال ، استمع إليها مرة وهي تصلي هكذا (يارب العالم ، أنت خلقت السماء والأرض والطالحين والصالحين ، فلتكن مشيئتك ألا يقود جمالي أحداً الى الخطيئة)

٢٦ ــ ليبدأ المرء أولا ببناء بيته ، وغرس كرمه ، ثم ليتخذ له زوجة .

٢٧ ــ إذا لم تكن الزوجة صانعة تكن سلة الخبز فارغة .

٢٨ ــ قيل في زوجة صناع (إنها تظل تغزل حتى حين تثرثر)

٢٩ ــ وجهت امرأة إلى ربي اليعيزر سؤالا عويصاً فأجابها إن العلم الوحيد الذي تحتاج اليه المرأة هو المغزل .

٣٠ ــ أجاب النبي إيليا على سؤال لربي يوسى عن كيف تكون المرأة معينا

للرجل (التكوين ٢/١٨) (١) قال : (يحضر الرجل القمح الى المنزل ، فهل يستطيع أن يأكل القمح ؟ ويحضر الكتان فهل يستطيع أن يلبس الكتان ؟ لا إذن فزوجته « مادات تطحن القمح وتغزل الكتان » هي نور عينيه وهي التي تقيمه على قدميه)

٣١ ـــ لا ينبغي للأبوين أن يفضلا طفلا على آخر فإن بضع أذرع من النسيج البراق جعلت اسرائيل عبيداً في مصر (التكوين ٣/٣٧)«٢» .

٣٢ ـــ كان لرجل أولاد فاسدون فجعل يوناثان بن عزئيل وارثه الوحيد فلم يأخذ يوناثان لنفسه إلا ثلثا وخصص للمرافق الدينية ثلثا ، ورد الثلث الباقي الى أولاد الموصى .

٣٣ ـــ كثيرا ما يقدم امرؤ لابيه دُراجا ليأكله فيعاقب من أجله ، لأنه يفعل ذلك بطريقة فظة . وكثير ما يحمل امرؤ أباه أن يدير الرحى ، فيكافأ من أجله ، لأنه يفعل ذلك بمودة ورفق .

٣٤ ـــ حتى حين يرمي الأبوان في البحر كنزاً تافها لطفل فقد لايزجرون .

٣٥ ـــ ينبغي أن يعامل الخادم الذي عندك معاملة طيبة فيأكل ويشرب ويسكن مثلك . فلا يليق أن تأكل خبزاً أبيض ، ويأكل هو خبزاً أسود ، ولا أن تشرب خمرا عتيقة ويشرب هو خمرا حديثة ولا أن تنام أنت على فرش من الريش ، وهو على فرش من التبن ولا سيما إذا كان من قومك ، وعلى دينك فكل من يشترى عبداً عبرياً يشترى لنفسه سيداً .

٣٦ ـــ لماذا يكون العبد العبرى الذي لايريد حريته ـــ مخروزاً في أذنه وفي الباب ؟ لان الباب كان شاهدا حين أعتق الله اسرائيل من عبودية مصر ، ولكن

«١» وردت هذه الاية المنوه عنها هنا ـــ في قصة خلق آدم ثم خلق حواء من ضلعه لاجله وهذا نص الاية كلها كما في الترجمة العربية (وقال الرب : ليس جيدا ان يكون آدم وحده فاصنع له معينا نظيرا)

«٢» الاية المشار اليها وردت في قصة يوسف كما روتها التوراة فقد ابغضه اخوته لأن أباهم فضله عليهم .

هذا العبد لايريد أن يكون حراً ، ويفضل العبودية ، ولذلك يعاقب لدى الباب (التثنية ١٥/١٧)«٣» .

«٣» التفسير هنا تلفيق لانه يربط بين احداث أو اشياء ليس بينها رابطة طبيعية ولا عقلية لازمة ، وكل احداث القصة هنا اتفاقية محضة وهذا المنهج التلفيقي ينهجه كثير من المفسرين ونحوهم من أتباع الديانات المختلفة وهو قد ينجح في وعظ العامة الى الفضائل ليتحلوا بها والرذئل لينتهوا عنها ولكنه لايصلح مع غيرهم ممن له أدنى نظر مستقل أو نظر حصيف في الدين أو الفلسفة .

رابع عشر: الفضائل والرذائل

١ ـــ من يحب الفضيلة فهو كالشمس التي تسطع في الظهيرة . ومن يتبع الرذيلة فهو كالنور الخافت يلمح من نجم بعيد .

٢ ـــ البر افضل من كل قربان .

٣ ـــ لنفرح بأن هناك شحاذين ملحفين فلولا ذلك لأخطأنا كل يوم بإعطائنا الفقراء أقل القليل .

٤ ـــ في خلال مجاعة ، فتح الملك مونوباز Monobaz خزانة جواهره وأمر بتوزيع كنوزه الخاصة وكنوز أسلافه على الفقراء فعاتبه أقاربه في ذلك وقالوا (إن أجداده جمعوا الكنوز وزادوا كنوز أسلافهم ، وأنت تبعثرها) فأجابهم (أجدادي جمعوا الكنوز في مكان يصل اليه اللصوص ، وأنا جمعتها في مكان لايستطيع اللصوص أن يبلغوه . أجدادي جمعوا كنوزاً مادية ، وأنا جمعت كنوزاً روحية ، أجدادي جمعوا للحياة الفانية وأنا جمعت للحياة الأبدية)

٥ ـــ من الذي يمارس البر دائما ؟ من آوى يتيما في بيته وعلمه وعاله .

٦ حاول الطبيب أبا Abba عبثا أن يعالج الفقراء وكثيرا ما كان يمدهم بالمال وينصحهم قائلا : (اذهبوا وغذوا أجسامكم به)

٧ ـــ حتى الطائر في الهواء يميز البخيل النحيل .

٨ ـــ من يعط برحمة يجزل العطاء .

٩ ـــ من يبتسم للفقير«٤» يعمل افضل ممن يمنحه لبنا ليشرب .

١٠ ـــ من يعط الصدقات فليعطها خفية ، حتى لايشعر المحتاج بالخجل«٥» .

«٤» الترجمة الحرفية (من يكشف اسنانه البيض للفقير) وهذه كناية عن التبسم .

«٥» من الاحاديث النبوية (سبعة يظلهم الله يوم القيامة يوم لاظل الا ظله ....) منهم (ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لاتعلم شماله ما اعطت يمينه)

١١ ـــ ماذا يعني الواعظ حين يتكلم عن الاعمال الطيبة التي هي مع ذلك سيئة ؟ انه ينظر هؤلاء الذين يبذلون احسانهم علانية«٥» .

١٢ ـــ يبدي الفقير للمحسن من التلطف«٦» اكبر مما يبدي له المحسن .

١٣ ـــ المساعدة الفعالة أفضل من إعطاء الصدقات .. فالصدقات تكون بالمال أو بما يقوم بمال ، ولكنه المساعدة تكون بالقول والفعل . والمرء لايستطيع بالصدقات إلا أن يصل الفقير ، ولكنه بالمساعدة الودية يستطيع أن يصل أي واحد .

١٤ ـــ عاب ترنس رفس Turnus Rufus إحسان ربى عقيبا ، في مثل . فقال : (غضب ملك على عبيده ، فأمر بإلقائهم في السجن . فأمدهم أحد أصدقائهم بالطعام والشراب الطيب خفية . فلما سمع الملك ذلك غضب على الصديق . فقال ربى عقيبا (غضب ملك على ابنه ، فأمر بالقائة في السجن ، فأمده صديق له بالطعام والشراب الطيب فلما سمع الملك ذلك سر به ومنح الصديق الذي أحسن إلى ابنه هدية قيمة) .

١٥ ـــ (وراء الرب الهكم تسيرون) (التثنية ١٣/٥) مامعنى هذا ؟ انه يعني انكم تقلدون طرقه فتكسون العريان وتعوذون المريض وتعتنون به وتواسون الباكي وتدفنون الميت .

١٦ ـــ الاسرائيلي ملزم باتباع الرحمة ولو مع الاممي .

١٧ ـــ اذا رفض فقير قبول شيء فقدمه له قرضا .

١٨ ـــ من يقرض مالاً بلا عوض ففضله اعظم ممن يهب الصدقات .

«٦» الترجمة الحرفية (من الرحمة) ويلاحظ ان الفقير يتلطف للمحسن اكثر مما يتلطف المحسن له ، لأن المحسن صاحب اليد العليا . ولكن المحسن يكون اكبر رحمة بالفقير وحباله من رحمة الفقير به وحبه اياه لأن المحسن صاحب اليد العليا . والمرء يحب الشيء بقدر ما يتعب في سبيله لابقدر ما يتلقي من خيره . ولذلك يحب الاباء الابناء ويرحمونهم اكبر مما يحبهم ويرحمهم الابناء ومن ابرع التفاتات ابن الرومي في هذا الصدد قوله :

ولــو انـنــي أحيــيت ميتــا عشقتــه ... لفرط الـذي أثرت فيــه من الحسنــى

فالمحسن دائن والفقير مدين ، والدائن يتمنى الخير للمدين اكثر مما يتمناه المدين للدائن لأن في هلاك المدين متنفسا للدائن .

١٩ــ لأن تقرض خير من ان تتصدق وخير منهما أن تساعد انسانا فيعمله .

٢٠ ــ اذا جاءك فقير وغني ليقترضا ، فلتفضل الفقير بالعطاء .

٢١ ــ على الدائن الذي يعلم ان مدينه عاجز عن سداد دينه الا يلحف في طلبه فيجره للخراب .

٢٢ ــ (من لايقرض ماله بالربا)«٧» (المزامير ١٥/٥) والى هذا اضاف **Rav Saphra** (ولولأمي)«٨» وهذه الملاحظة يبديها **Rav Nachman** عن **Rav Huna** اشارة الى الاية (من يزد ماله بالربا والمرابحة فانه يجمعه لمن يعطف على الفقراء) (الامثال ٢٨/٨)

٢٣ ــ من يقوم بالضيافة يضيف الله نفسه .

٢٤ ــ أولى الفضائل أن يحب المرء جاره .

٢٥ ــ أفضل الشمائل قلب طيب .

٢٦ ــ قابل كل أمرىء برفق ونية حسنة ، وحي كل امرىء بلطف وأدب ، حتى الاعمى على الطريق .

٢٧ ــ اقضى في أمر جارك بسماحة ومودة ، ولا تحكم على أحد قبل أن تضع نفسك موضعه .

٢٨ ــ ما السبب الرئيسي في التهدم الثاني للدولة اليهودية ؟ التنافر والتباغض في الجيرة دون سبب .

٢٩ ــ من يشارك الناس في همومهم فليس له في مسراتهم نصيب .

٣٠ ــ المعروف واجب لليهودي والأمي معا .

٣١ ــ أحبب من يريك عيوبك أكثر من حبك لمن يقتصر على مدحك .

«٧» وهكذا في النسختين العبرية والانجليزية ، واما النسخة العربية فهذا نصها (ففضته لايعطيها بالربا) .

«٨» اي لا يقرض ماله بالربا ولو لغير يهودي وهذه الفتوى دليل تطور وتقدم في اليقظة الاخلاقية والدينية والفكرية عند اليهود ، لانهم يحرمونه بين بعضهم البعض ، ويستبيحونه بل يستوجبونه مع غيرهم ولم يأخذ بحرمته ولا تحريمه حتى الان اعتمادا على شريعتهم التي تبيح لهم ذلك وما هو شر منه في معاملة الا ميين .

٣٢ ـــ على باب بيت النعمة يلتقي كل الأصدقاء ، ومن باب الفقر تهرب الصداقة .

٣٣ ـــ الحب الاثر«٩» يزول مع حصول غرضه (رضاه) والحب الخالص لايزول مثال الاول حب عمنون وثامار ومثال الثاني حب داود ويوناثان«١٠ .

٣٤ ـــ الحزمة من القصب لايستطيع أحد أن يكسرها والقصبة الواحدة قد يكسرها طفل «١١»

٣٥ ـــ لا ينبغي لامرىء أن يقذف بحجر في البئر التي يشرب منها .

٣٦ ـــ الكنود شر من السرقة ، فقد قيل (لماذا تجزون عن الخير شراً ؟) (التكوين ٤/٤٤) لم تكن سرقة المكيال هي السبب في تعنيف يوسف لاخوته بل ما هو أسوأ ـــ عقوقهم .

٣٧ ـــ إذا جاء الوقت الذي يقدم فيه رجل حسابه عن حياته الأرضية فسيكون سؤال الديان الأبدي له (هل كنت مستقيما وأمينا في ارتباطات عملك ؟

«٩» selfish Love اي الحب القائم على الاثرة وزدنا كلمة (حصول) في الجملة لاظهار معناها لاننا لم نجد في كلمة (رضاه) الموجودة اصلا في النص بين قوسين للشرح ما يكفي لتوضح معنى الجملة .

«١٠» هذه تفرقة حكيمة بين نوعين من شغف إنسان بانسان أولهما شغف مشروط أو شغف معلق بغرض فإذا استوفى غرضه كان في ذلك رضاه ، فذهب هو وغرضه معا ، وشغف تبتهج به النفس وتتفتح وتستوفي حظها من تحقيق فضائلها الذاتية ، فالشغف بذاته ولذاته هو غرضها ، وهو لايزول الا بزوال الحياة عنها ، والأول هو الشهوة والثاني هو الحب ، وقد تناول شكسبير هذا الموضوع في أول منظوماته القصصية فينوس وأدونيس فقال مبدعا (الحب أنس كأنس الشمس المشرقة بعد المطر ، ولكن الشهوة عاصفة بعد اشراق الضياء ، وإن الحب الرقيق ربيع دائم ولكن الشهوة شياء يعاجل الصيف قبل انقضائه وان الحب لايشكوا التخمة ولكن الشهوة تتخم حتى تموت ، وإن الحب صدق والشهوة كثيرة الأكاذيب) والترجمة للاستاذ العقاد عن كتابه (التعريف بشكسبير ص ١٠٩)

«١١» شبيه بهذا قول شاعر عربي في وصية أولاده بأن يتحدوا معا في الشدائد :

كونوا جميعا يابني إذا اعترى خطب ، ولا تتفرقوا آحاداً
تأبى الرماح ـــ إذا اجتمعن ـــ تكسرا وإذا افترقن تكسرت آحاداً

٣٨ ــ من يظلم جاره ولو بمقدار حبة تكن جناية عليه .فاجعة .

٣٩ ــ من يؤذ رفيقا يخطيء بأفجع ممن يسرق المعبد .

٤٠ ــ (العدل ، العدل تتبع) (التثنية ٢٠/١٦) معنى هذه النصيحة المزدوجة هو العدل تجاه اليهودي وتجاه الأممي على السواء .

٤١ ــ لا تغش في دفع الضرائب .

٤٢ ــ خربت القدس لأن السكان تشددوا بصرامة في حقوقهم ولم يفسحوا مجالا للاعتدال .

٤٣ ــ صلِّ من أجل سلامة الحكومة ، فلولا خشيتها لابتلع الناس بعضهم بعضا أحياء .

٤٤ ــ إذا حضر حوارى أمام معلمه وبعض قضايا العدل معروض للمناقشة ، وكان يعرف سببا يدين الغني ويطلق سراح الفقير ، فواجبه أن يقوله ، لأنه قيل : (لاتخشوا وجه أي إنسان) (التثنية ١٧/١)

٤٥ ــ من يكرم رفاقه فنفسه يكرم ، فليكن شرف جارك عزيزاً عليك كشرفك«١٢» .

٤٦ ــ الكرامة تهرب ممن يجري وراءها ، وتسعى خلف من يهرب منها .

٤٧ ــ ينبغي للمرء أن يقتدي بالله ، فالله قد احتقر كل الجبال الشامخة وأظهر نفسه على سيناء المتواضعة .

٤٨ ــ أولى لك أن تكون ذيلا بين الأسود من أن تكون رأسا بين الثعالب .

٤٩ ــ خلق الانسان في اليوم السادس ، حتى لا يتكبر ، فإن البعوضة خلقت قبله .

٥٠ التواضع فضيلة نبيلة مادام يفوق كل القرابين .

٥١ ــ الكبر قناع لنقائصنا الخاصة .

٥٢ ــ المتغطرس مكروه حتى عند اسرته الخاصة .

«١٢» سبق ايراد الجملة الاخيرة من هذه الفقرة .

٥٣ ـــ إن النبوءة تفارق النبي المتغطرس ، والحكمة تفارق الفيلسوف المتغطرس .

٥٤ ـــ قال رباني « على الدارس أن يكون له أربعة وستون جزءا من الكبرياء » وأضاف Rav حونا « انها تزينه كما يزين الحسك سنبلة القمح » . لكن Rav نحمان قال « لا ، أبدا ، لأنه مكتوب كل متكبر في قلبه فهو مكروهة الرب)«١٣» .

٥٥ ـــ الذين يسبون فلا يسبون غيرهم ؛ والذين يساءون فلا يردون الاساءة والذين يؤدون واجبهم عن محبة ويرضون ألمهم أولئك قيل مثلهم : (لكن احباؤه كالشمس حين تسطع في جبروتها)«١٤» (القضاه ٣١/٥) .

٥٦ ـــ خير للمرء أن يطرح في النار من أن يفضحه أحد علانية ، والتشهير بجار في خزية علانية شبيه بامتصاص دمه .

٥٧ ـــ إذا آذى أحد غيره ولو بكلمة ، فحق عليه أن يسأله المغفرة .

٥٨ ـــ (لا يؤلم«١٥» أحدكم الآخر) (اللاويين ١٧/٢٥) هذا يشير إلى الألم الذي تسببه الكلمات .

وكيف يفسر هذا ؟ إذا امرؤ كان سيئا قبل فلا تذكره بسيئته وإذا كان هناك عيب في اسرته فلا تنبه إليه ، وإذا مصيبة حلت به فلا تعدها من ذنوبه ومن كان يريد شراء قمح فلا ينبغي أن ترسله الى من تعرف إنه لا يبيع قمحا ، ومن الخطأ أن يتظاهر أحد بأنه يود شراء سلع حين لا تكون له رغبة في الشراء ولا قدرة عليه ، وإذا امرؤ مات شنقا فلا تقل لأحد من أسرته (علق

«١٣» هذه ترجمة حرفية لنفس كتابنا وأما نص الاية في الترجمة العربية للعهد القديم فهو (مكرهة الرب كل متشامخ القلب) وقريب منها ما جاء في الأثر الاسلامي (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) .

«١٤» في الترجمة العربية (واحباؤه كخروج الشمس في جبروتها) .

«١٥» نص الاية في الترجمة العربية للعهد القديم (لا يغبن أحدكم صاحبه) وهذه أقرب الى النص العبري وأدق من عبارة كتابنا ومن الترجمة الانجليزية Oppress بمعنى يظلم أو يضايق ، لأن الكلمة واردة في سياق البيع والشراء ، والغبن أنسب لأنه أخص بالمبايعات .

السمكة)«١٦» فربما يظنها تلميحا لذلك .

٥٩ ــ ينبغي دائما للمرء أن يكون هادئا في حديثه وجوابه ، مسالما ورفيقا مع خلطاء المنزل والأقارب ، وكذلك مع كل واحد حتى الأمي في الطريق ، فبمثل هذا يكون المرء محبوبا في السماء ، مقبولا على الأرض .

٦٠ ــ كن حواريا لهرون . أحب السلام ، واسع وراءه ، وأحب الناس وارشدهم الى التوراة «١٧» .

٦١ ــ ليس هناك بوق بركة افضل من السلام .

٦٢ ــ الخصام كالشرخ في وعاء ، دائما يزداد اتساعا .

٦٣ ــ من يسكت أولا في النزاع فهو نابع من أسرة كريمة .

٦٤ ــ من يرفع يده أمام أحد ولو لم يضربه فهو يسمى لئيما .

٦٥ ــ إقامة السلام بين الناس تقابل بالمكافأة سواء على الأرض أو في السماء .

٦٦ ــ لا تكن متشددا في تأكيداتك ، فإنك غير معصوم من الخطأ .

٦٧ ــ من يغضب فيمزق ملابسه ويحطم الأمتعة ، ويقذف بالمال فهو في طريق المعصية .

٦٨ ــ هناك أربعة أمزجة . مزاج يثور بسهولة ويهدأ بسهولة ، ومزاج بصعوبة يثور ، وبصعوبة يهدأ ، ومزاج بسهولة يثور وبصعوبة يهدأ ، ومزاج بصعوبة يثور وبسهولة يهدأ .

٦٩ ــ لا تقم بمحاولة للصلح مادام الغضب موجودا .

٧٠ ــ يحرم بصراحة أن يعذب حيوان فمن كان في رحلة وحيوانه معه فلابد أن يلقى العذاب .

٧١ ــ ينبغي للمرء أن لا يجلس إلى مائدته وهو يرى أن حيواناته البيتية لم يقدم لها الطعام .

«١٦» يظهر أنه كان من الشائع في الأوساط اليهودية ــ ولا سيما الدهماء أو السوقة ــ أن يعير بهذه العبارة من يشنق له قريب .

«١٧» تقدمت قبل ذلك .

٧٢ ـــ جعل الله موسى وداود راعيين لاسرائيل لأنهما كانا رفيقين بالحملان حين كانا راعيين . قال الله (من يعطف على حيوان يكن بالناس رؤوفا) .

٧٣ ـــ كانت بقرة تقاد الى خشبة الذبح ، فأفلتت من قائدها ، وهربت الى ربي يهودا . فدفعها بعيد بهذه الكلمات (ابتعدي بنفسك ، هذا حظك) منذ ذلك اليوم كان الربي يطارده شر جسيم . ورأى يوما خادمته تهم بقتل بعض لفيران«١٨» الصغيرة ، فقال لها ربي (دعيها تعش ، فإنه مكتوب) ومراحمة الحنون على كل أعماله (المزامير ٩/١٤٥) منذ ذلك اليوم تحسنت الأحوال معه .

٧٤ ـــ قال هليل (لا تحكم على جارك حتى تضع نفسك موضعه) .

٧٥ ـــ وضع مار عُقْبة هذا السؤال لربي العازر (لي أعداء أشرار استطيع أن اشكوهم للحكومة ، فهل افعل ذلك ؟ فأخذ ربي رقًّا«١٩» وكتب عليه هذه الآية (قلت سأتنبه لطرقي حتى لا اعصى بلساني ، وسأحفظ فمي بكماجه حين يكون الشرير أمامي)«٢٠» (المزامير ١/٣٩) ولكن مار عقبة قال ثانية : « هم يؤذونني حتى لا استطيع أن أضبط نفسي » فأجابه الربّي ثانية (تطلع في صمت الى الله وليكن رجاؤك فيه تطلع الى الله وسيمكنك من النصر عليهم كن مبكرا الى الكنيس واتركه متأخرا فإن اعداءك من أنفسهم سينسحبون) .

٧٦ ـــ اعتاد رباني أن يقول قبل أن يذهب ليستريح ليلا (اكفل غفران كل الاساءات التي اصابتني اليوم) .

ـــ الصمت سياج الحكمة ، الصمت يلزم للحكيم ، فكيف لا يكون ألزم للأحمق ؟

«١٨» في الاصل Weasels وهي نوع من الحيوانات الصغيرة كبنات عرس تأكل العصافير والفيران .

«١٩» الرق : جلد يكتب عليه وكان ذلك شائعا في الأزمنة القديمة حيث لا ورق .

«٢٠» النص في الترجمة العربية : قلت (أتحفظ لسبيلي من الخطأ بلساني احفظ لفمي كمامه فيما الشرير مقابلي) .

٧٨ ـــ الكلمة تستحق دينارا ، والصمت يستحق اثنين«٢١» لا شيء أفضل للمرء من الصمت لأن من يثرثر بكلمات كثيرة لا يستطيع أن يتحاشى الوقوع في الأخطاء .

٧٩ ـــ الكلمة كالنحلة ، لها شهد ، ولها إبرة«٢٢» .

٨٠ ـــ الوشاية شر من الجرائم الكبرى الثلاث : عبادة الأوثان ، والزنا والقتل .

٨١ ـــ اللسان الواشي يقتل ثلاثة : الموشى به ، والواشي ، ومن يصغي للوشاية .

٨٢ ـــ الواشي ومن يصغي للوشاية ، وشاهد الزور يستحقون أن يطرحوا للكلاب .

٨٣ ـــ يخطيء كثير ضد انفسهم عن طريق السوء : وكلهم تقريبا عن طريق الوشاية ، أو على الأقل في غبار الوشاية .

٨٤ ـــ ثلاث خطايا لابد للمرء يوميا أن يتبينها : التخيلات الرديئة ، والصلاة المنحرفة ، والكلام الخبيث في حق جاره .

٨٥ ـــ هذا منهج رواة القصص : يبدءون بالطيب وينتهون بالخبيث«٢٣» .

٨٦ ـــ احكم في سماحة على جارك ، واقبل عذره .

٨٧ ـــ لا تحكم على أحد حتى تضع نفسك مواضعه ، وتعرف المغريات التي كان عليه أن يقاومها .

٨٨ ـــ الزيف يذهب ، والحق يبقى«٢٤» .

«٢١» قريب منه في مأثورنا (إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب) .

«٢٢» الابرة أو الحمة ما تلسع به يقول الشاعر :

(ولابد دون الشهد من ابر النحل)

«٢٣» يقول شاعر عربي « وما آفة الأخبار الا رواتها » .

«٢٤» قريب من ذلك ماجاء في القرآن الكريم « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » (الرعد/١٧) .

٨٩ ــ الكذبة ليس لها أقدام .

٩٠ ــ الحق خاتم الله .

٩١ ــ لتكن « نعم » منك هي « نعم » و« لا » هي « لا » *

٩٢ ــ الشفاه قد لا تقول إلا ما يفكر القلب .

٩٣ ــ الاستقامة الصارمة واجب تجاه الأممي كما هي واجب تجاه اليهودي .

٩٤ ــ لا تتشدد في دعوة أي شخص وأنت تتوقع أنه سيتأخر عنها ، ولا في تقديم هدية إلى شخص وأنت تتوقع أنه سيرفضها .

٩٥ ــ زجر صموئيل خادمه مرة لتدليسه على أممي صاحب معبر ، إذ أعطاه أجر عبوره : دجاجة لا يحللها قانون الطقوس ، ولم يخبره انها لا تحل لاسرائيلي ، فدفع فيها لذلك ثمنا أعلى .

٩٦ ــ اقبل الحق من كل انسان .

٩٧ ــ عد قليلا ، وأوف كثيرا .

٩٨ ــ من لا يحفظ وعده فهو مع الوثني على سواء ، البار يعد قليلا ويوفي كثيرا واللئيم يعد كثيرا ، ولا يوفي إلا بأقل القليل .

٩٩ ــ صديقك له صديق ، وصديق صديقك له صديق ، فكن كتوما .

١٠٠ ــ ينبغي أن لا يعد المرء مسئولا عن الكلمات التي يتفوه بها في حزنه .

١٠١ ــ الاتصالات السرية ينبغي أن لا تتكرر إلا بإذن .

١٠٢ ــ جميل أن تجتمع المعرفة مع التواضع . ينبغي للمرء أن لا ينطق عبارات غير متواضعة من شفتيه ، وان يستعمل في كل الأوقات كلمات لبقة .

١٠٣ ــ إذا قيلت عبارات شاذة واجب على المرء أن يضع اصبعه في اذنه حتى لا يسمعها .

*** الترجمة الحرفية للعبارة « لتكن نعمك نعم ، ولاؤك لا » وينسب إلى الفرزدق في مدح الامام زين العابدين قوله « لولا التشهد كانت لاؤه نعم » وشبيه بعبارة التلمود قول شاعرنا أبي تمام :**

إذا قلت في شيء (نعـــم) فأتمه — فإن (نعـم) ديـن على الحر واجب

١٠٤ ــ إذا قابلت أمرأ ترى منه أنه سيحييك فابدأ ما استطعت بتحيته ، فقد أثر عن ربي يوحانان أنه كان يبدأ كل امريء بالتحية ولو كان أمميا في الزقاق .

١٠٥ تلطف في تقبل كل امريء ولقائه .

١٠٦ ينبغي للمرء أن لا يدخل بيتا بطريقة غير مهذبة حتى بيته .

١٠٧ كان الربان جمالئيل يثني على الفرس لاعتدالهم في الأكل والشرب والاجتماعات العامة .

١٠٨ ــ « ما أحسن خيامك يايعقوب) (العدد ٢٤/٥) فازت خيامهم بهذا الثناء لأن نوافذها لم تكن متقابلة ، فلذلك لم يكن الجيران ينظر بعضهم داخل منازين الآخرين .

١٠٩ ــ ينبغي للمرء دائما أن يتبع عادات المكان . فموسى حين ذهب الى السماء لم يأكل (الخروج ٣٤/٢٨)«٢٥» . والملائكة هبطت إلى الأرض فكانت تأكل (التكوين ١٨/٨)«٢٦» .

١١٠ ــ لا تبك في محضر من يضحكون ، ولا تضحك في محضر من يبكون . ولا تستيقظ بين النائمين ، ولا تنم بين المتيقظين . ولا تقف والاخرون قعود ، ولا تقعد والاخرون وقوف .

١١١ ــ ثلاثة أشياء تكون طيبة حين تقل ، ولا تكون طيبة حين تزيد : الخميرة ، والملح ، ورفض التنبيهات .

١١٢ ــ تقارن اسرائيل بنجوم السماء ، وتراب الأرض . فهي اذا نهضت تنهض علوا حتى النجوم ، واذا سقطت تسقط في اسفل سُفل حتى التراب .

١١٣ ــ أرض اسرائيل لا تسمى جميلة كالغزال دون سبب ، بل لأنها حين

«٢٥» نص الاية كلها في الترجمة العربية : « وكان موسى عند دخوله أمام الرب ليتكلم معه ينزع البرقع حتى يخرج . ثم يخرج ويكلم بني اسرائيل بما يوصى » .

«٢٦» نص الاية كلها في الترجمة العربية : « كما ورد في قصة الملائكة الذين قابلوا ابراهيم ، ثم اخذ زبدا ولبنا والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم . وإذا كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا » .

تُسكن تمتد كجلد الغزال ، وإذا هُجرت فإنها تنكمش* .

١١٤ ــ أضاف رباني هذه الملاحظة الى آية في الكتاب (اظهر الله فضل شعب اسرائيل حين شتتهم بين الأمم . فالله شتتهم بين الأمم لكي ينتشر الاعتقاد بالله الحق .

١١٥ ــ بثلاث خصال يعرف الاسرائيلي الحق : الرأفة ، والتواضع ، والاحسان«٢٧» .

١١٦ ــ (هأنذا قد نقيتك وليس بفضة ، اخترتك في كور المشقة) (اشعيا ٤٨/١٠) . هذا يبين أن الله لم يجد لاسرائيل أفضل من الفقر . حتى المثل كذلك يقول (الفقر يزين الاسرائيلي كما تزين وردة حمراء حصانا أبيض) .

١١٧ ــ لماذا تقارن اسرائيل بالزيتون ؟ فالزيتون لا يجود بزيته حتى يعصر ، وكذلك الاسرائيليون يبرهنون عن فضيلتهم في الشدة .

١١٨ ــ خلق العالم من أجل اسرائيل** .

١١٩ ــ لا تتكلم باحتقار عن الأمميين على مسمع دخيل في الدين حتى تمر عشرة أجيال .

١٢٠ ــ ويل للشعوب الأممية من أجل خسرانها ، ولأنها لا تعلم أنها خاسرة ، كان الهيكل«٢٨» قائما كأن المذبح يكفر عن سيئاتها ، ولكن من يكفر عنها الان ؟

---

* ولذلك ليس للكيان الصهيوني حدود معينة معلنة حتى الآن فأطماعه من النيل الى الفرات بل والسيطرة على العالم .

«٢٧» اتبعت هنا نص الترجمة العربية .. وهنا نتساءل عن الرحمة التي يدعونها في تعاملهم مع الفلسطينيين العزل .

** وتلك المقولة تؤكد عنصرية اليهود ونظرتهم الشيئية للشعوب الأخرى وكأنها شيء مسخر لخدمتهم لا بشر لهم حقوق .

«٢٨» هيكل اليهود ، والمعنى أن قيام مملكة اليهود كان شفاعة لسائر أمم العالم ، ولكن لا شفاعة لها بعد خراب المملكة اليهودية وخراب الهيكل .

١٢١ — اتقياء شعوب العالم لهم حظ في العالم الاتي .

١٢٢ — حتى الشرير في اسرائيل مملوء بالأعمال الصالحة كأنه رمانة«٢٩» .

١٢٣ — لا يختلف زمان المسيح«٣٠» عن الحاضر الا في هذا : ان تنتهي حينئذ ظلامات اسرائيل .

١٢٤ — لا موسى ولا إيليا عبرا قُدما الى السّماء ، فقد قيل : (السموات سموات الرب ، أما الأرض فأعطاها لأطفال البشر«٣١») (المزامير١١٥/١٦) .

١٢٥ — الأسلحة وكل ما يمت الى الحرب ليست بزينة ، بل هي عار على العصر . فإن الانبياء تنبئوا عن ازمان متمدنة حقا قائلين (سيطبعون سيوفهم محاريث ، ورماحهم مناجل مسنونة ، ولا ترفع أمة على أمة سيفا ، ولا يتعلمون الحرب فيما بعد) (اشعيا ٢/٤/ ، وميخا ٤/٣)«٣٢» .

١٢٦ — حينما كان المصريون يغرقون كانت الملائكة تود أن تنشر الأناشيد ، ولكن الله زجرها وقال (أو تهلك مخلوقاتي وأنتم تنشدون الأناشيد !)«٣٣» .

«٢٩» يلاحظ ان قشرة الرمانة شديدة المرارة ولكنها مكتظة بالحبوب الحلوة .

«٣٠» المسيح هنا لا يراد به مسيح النصارى عيسى بن مريم الذي ظهر قبل ، لأن اليهود لا يعترفون بعيسى مسيحا لهم ، بل ينكرونه ويطعنون فيه وفي أمه عليهما السلام ، وإنما مسيحهم الذي ينتظرونه حتى الان هو الزعيم الذي يظهر من نسل داود ، فيرفع عنهم المظالم ويعيد لهم مملكته ، ويسلطهم على العالم .

«٣١» هذه هي الترجمة المطابقة لعبارة كتابنا وعبارة الترجمتين الانجليزيتين ، وأما نص الترجمة العربية فهو (السموات سماوات الرب ، أما الأرض فأعطاها لبني آدم) .

«٣٢» ورد النصان متماثلين في سفر أشعيا وسفر ميخا ، فالثاني يردد كلام الأول حرفيا ونبوءتهما حلم جميل يتمناه كلّ محب للانسانية حتى يعيش الناس جميعا في نعيم السلام والمحبة فتسد أبواب الغش والطمع وحب الشر أمام تجار الحروب ، ولكن هل يتحقق هذا الحلم الجميل بين أبناء آدم الأشقياء ؟ ذلك حلم بعيد .

«٣٣» شعور انساني نبيل جميل ، يدل على تطور ورقي عظيم في عالم الاجتماع الديني والخلقي والفكري بل الفنيّ أيضا ، ففرح المرء للشماته وعدوه يعاني النكبة شعور بدائي

١٢٧ ــ ابك لمن ينوحون لا لمن يموت ، فإنه مضى لراحته ، ونحن نبقى لنتأوه .

١٢٨ ــ لا تعز النائح وميته مازال أمامه .

١٢٩ ــ جاهد لتعيش حتى يستطيع الناس أن يذكروك بالخير عند قبرك .

١٣٠ ــ نحن لا نقيم للبار تمثالا ، لأن أعماله هي تذكاره . عظمة البار ستنكشف بعد موته .

١٣١ ــ البار بين الأمميين سيكون له حظه في الحياة الأبدية .

١٣٢ ــ قال هليل (لا تثق بنفسك حتى يوم موتك)«٣٤» .

١٣٣ ــ « أيامه مثل ظل عابر » (المزامير ٤/١٤٤) أهو ظل برج أو شجرة أم هو ظل يخيم للحظة ؟«٣٥» لا ، إنه ظل الطائر في طيرانه . فإذا طار الطائر مبعدا لم يبق الطائر ولا ظله .

١٣٤ ــ اليوم قصير والعمل كثير ، والعمال كسالى والمكافأة جزيلة ، وسيد البيت يلح . ليس حتما عليك أن تتمم العمل ، ولكن ليس حتما عليك أن تقفه . إذا درست التوراة كثيرا فإن مكافأتك ستكون جزيلة ، لأن السيد الذي استخدمك أمين في دفع الأجر . لكن اعلم أن المكافأة الحقة ستكون في العالم الاتي .

همجي غليظ .

«٣٤» انسب من ذلك في مألوف لغتنا العربية أن تكون الترجمة هكذا « لا تغتر بنفسك ..» وقد تقدمت كلمة هليل هنا .

«٣٥» يلاحظ الفرق بين ظل البرج أو الشجرة أو ظل أي شيء ثابت وظل الطائر في طيرانه أو ظل أي جسم اخر متحرك أبطأ منه أو أسرع .

خامس عشر . العدل والقضاء

١ ـــ متى يجتمع العدل وإرادة الخير ؟ عندما تعمل الفرق المتنازعة لتتفق في سلام .

٢ ـــ من يسلم متاع غيره لآخر ظلما فإن الله يجازيه بسلب روحه .

٣ ـــ في الساعة التي يجلس خلالها القاضي للحكم بين أتباعه ، يشعر كأن سيفا مسددا إلى قلبه .

٤ ـــ ويل للقاضي الذي يقتنع ببطلان حجة ثم يحاول إلقاء اللوم على الشاهد ، فالله سيطلب منه حسابه .

٥ ـــ إذا وقف الفريقان للتقاضي أمامك ، فانظر إلى كليهما على أنه مذنب ، لكن إذا ذهبا فليكن كلاهما بريئا في عينيك بعد أن تقبلا حكمك .

٦ ـــ ينبغي أن تكون يقظة ضمير القاضي عظيمة ، سواء كانت القضية خاصة بموضوع تافه القدر ، أو موضوع ذي قدر كبير .

٧ ـــ قال شمعون بن شاتاخ « لتكن متشددا جدا في فحص الشهود ، واعيا لكلماتهم ، كي لا يستطيعوا التزوير خلالها » .

٨ ـــ رب شاهد لا يلغي شهادته .

٩ ـــ شهود الزور بغيضون ، حتى في أعين من يستأجرونهم للشهادة .

١٠ ـــ الاعتراف في قوته يعدل مائة شاهد .

١١ ـــ كل من له مصلحة في موضوع الخصومة يسقط حقه شاهدا ، وكذلك كل من يقبل مكافأة على الشهادة (تعويضا لوقته) والادنون من الأقارب ، والمقامرون المحترفون .

١٢ ـــ اذا كان من يمتنع عن شهادة يمكن أن يؤديها لمساعدة رفيق لا يستطيع القضاء الأرضي أن يعاقبه ، فإن القضاء السماوي يعده مذنبا .

١٣ ــ ويل لمن يشهدون على ما لم يعاينوه«٣٦» .

١٤ ــ الشهود لم يحلفوا الا لابطال شهادة من يشهدون زورا .

١٥ ــ « بالعدل تحكم لجارك »«٣٧» (اللاويين ١٩/١٥) هذا يعني أيضا أن القاضي لا ينبغي أن يأمر فريقا بالجلوس ، وفريقا بالوقوف ، ولا يقول لفريق « اختصر » ويسمح لآخر بالتمادي في الكلام .

١٦ ــ لا ينبغي للقاضي أن يدوس على رؤوس الناس المقدسين .

١٧ ــ كيف يخيف المرء الشهود الذين يستدعون للشهادة في أمور الحياة والموت ؟ حين يحضرون الى المحكمة يقال لهم (ربما تشهدون عن تخمين ، أو إشاعة ، أو نقلا عن شهادة آخر سمعها من ثقة ، أو ربما لا تدركون أننا سنتحرى فحص الشهادة ، ونحاول معكم بالأسئلة المحكمة البحث بدقة . اعلموا أن المحاكمات التي تتناول قضايا المال ليست كقضايا الحياة والموت) ففي قضايا المال يمكن أن يكفر عن خطيئته بالمال ، فيعفى عنه ، وفي قضايا الحياة لا يقع دم المتهم ظلما على شاهد الزور وحده بل على ذرية ذريته حتى نهاية العالم . لهذا نجد أنه عندما قتل قاين أخاه قيل (صوت دم أخيك صارخ إليّ من الأرض) (التكوين ٤/١٠) وكلمة الدم موضوعة جمعا ، لتشير إلى أن دمه قد أريق مع دم ذريته . خلق آدم وحده ليبين لك أن من يقضي على حياة واحد سيحاسب عليها كأنما قضى على العالم كله . ولكن من ناحية أخرى قد تقولون لأنفسكم (مالنا وكل هذا الشقاء هنا ؟) فتذكروا إذن أن الكتاب المقدس قال : (إذا رأى شاهد أو عرف شيئا ولم يقله فسيحمل وزره) ولكن ربما تقولون :) ولماذا ندان بدم هذا الرجل ؟) فتذكروا إذن ما قيل في الامثال (١١/١٠) : (إذا هلك الأشرار فثمة فرح)«٣٨» .

«٣٦» تقدمت في الحكمة والحماقة فقرة ٣٨ .

«٣٧» هذه هي الترجمة الحرفية وفي الترجمة العربية للكتاب المقدس (بالعدل تحكم لقريبك)

«٣٨» هذه العبارة حرفية ، ونصها في الترجمة العربية للكتاب المقدس (عند هلاك الأشرار هتاف) .

١٨ ــ لا يشك في اسرائيلي ان يشهد زورا لمجرد الحب أو الكره .

١٩ ــ الرجل مرتبط في واجبه أن يبارك الأشرار كما يبارك الأخيار ، فمن أجل البشائر الطيبة يقول (مبارك هو ، لأنه خير ، ويمنح الخير) ومن أجل البشائر السيئة يقول : (مبارك القاضي الحق)«٣٩» .

٢٠ ــ حين يموت الصالح فإن الأرض هي الخاسرة ، الجوهرة المفقودة تبقى دائما جوهرة ولكن للمالك الذي يفقدها ان يبكي .

٢١ ــ ثواب الأعمال الطيبة كالتمر ، حلو ، ولكنه ينضج متأخرا .

٢٢ ــ كيف لا يمكن أن تتفادى الخطيئة ؟ فكر في ثلاثة أشياء . من أين تأتي وأين تذهب ؟ والى من ستقدم حسابك عن أعمالك ، حتى تقدمها الى ملك الملوك الأعلى ، وهو الأحد القدوس تبارك اسمه !

«٣٩» اي (الله) .

فهـــرس

تعريف بالمترجم واعماله

* المترجم : محمد خليفة التونسي

* ولد في قرية تونس في ملب صعيد مصر في يوم جمعة ١٩١٥/٩/١٠ لاب مزارع ينتهى نسبه الى الادارسة الذين ينتمون الى الحسن بن علي بن ابي طالب وأمه من اصل تركي .
* تعلم في كتاب القرية مبادىء القراءة والكتابة والحساب وحفظ القرآن الكريم قبل العاشرة من عمره كما حفظ خلال ذلك كثيرا من القصائد والمقطوعات النثرية وقرأ بعض كتب الادب والتصوف ، وحفظ اجزاء من علوم الفقه والتجويد والنحو .
* في ٢٧/٩/١٠ التحق بالقسم الابتدائي بمعهد اسيوط الديني .
* تخرج في كلية دار العلوم بالقاهرة عام ١٩٣٩ (تجهيزية دار العلوم ثم مدرسة دار العلوم) .
* حصل على دبلوم الدراسات العليا عام ١٩٥٥ .
* عمل بالتدريس في مصر عام ٣٩ حتى ١٩٦٤ بدأ في سلك التدريس مدرسا وتدرج حتى اصبح موجها للغة العربية .
* شارك في لجنة تطوير الأزهر ووضع مناهج اقسامة الابتدائية والاعدادية والثانوية وندب للاشراف على التجربة التعليمية في المعهد النموذجي للازهر عام ٦١ .
* عام ٦٤ اعير للتدريس بالعراق ثم انتدب الى وزارة الأوقاف العراقية لاصلاح احوال التعليم الديني في مدارسها فبقى فيها حتى عام ٧٢
* عمل محررا في مجلة العربي منذ عام ١٩٧٢ حتى وفاته في ١٩٨٨/١/١١ .
* اتصل بالكاتب الكبير عباس محمود العقاد وكان من ابرز مريديه من عام ١٩٣٢ حتى وفاته في ١٢ مارس ١٩٦٤ .

★ مــن اعمــالــه :

□ **أكثر مؤلفات المؤلف لم يزل مخطوط وقد طبع منها :**

* العواصف : الجزء الأول عام ١٩٣٥ (ديوان شعر) والجزء الثاني عام ١٩٤٧ .
* بروتوكولات حكماء صهيون عام ١٩٤٦ (ترجمة) .
* فصول من النقد عند العقاد عام ١٩٥٢ .
* التسامح في الاسلام عام ٥٢ .
* العقاد دراسة وتحية (مع آخرين) عام ٥٩ .
* رباعيات التونسي المجموعة الأولى عام ٦٦ والمجموعة الثانية ٨٧ .
* تأملات حرة في الدين والفلسفة والادب والفن عام ٨٣ .
* اضواء على لغتنا السمحة (كتاب العربي) عام ٨٥ .
* كنوز التلمود (ترجمة) عام ٨٩ الذي بين ايدينا .

□ **واما مالم يطبع فهو :**

* العناصر النفسية لليهود .
* الزندقة اصولها وتطورها .
* حول فلسفة الصيام .
* اسرة النبي ﷺ .
* المدينة ـــ لماذا اختارها النبي موطنا لهجرته ؟
* الانوار المحمدية حول لواء النبي وهو ملحمة شعرية .
* الفيصليات (شعر) .
* الخليل بن أحمد (عبقريته الرياضية) .
* بشار بن برد أول شاعر كبير في العربية .
* سماحة اللغة العربية ـــ اصول وفصول .
* ثورة الحسين بين الواقع والفن .
* المختار بن عبيد الثقفي .

* من سادات العرب .
* مع الشعراء .
* قال الراوى (قصص تراثية) .
* اسئلة واجوبة .
* كتب ومؤلفون .
* حول لواء العقاد (احاديث صحفية) .
* عبقرية المهلب .
* شاعر مجرم .. مالك بن الريب المازني .

□ مترجمات غير مطبوعة :

* مااعتقد ـــ لبرتراند راسل .

وللاستاذ محمد خليفة التونسى ما لايحصى من المقالات : فقد بدأ يكتب في الصحف العربية ومجلاتها منذ عام ١٩٣٢ حتى وفاته في ١٩٨٨/١/١١ فكتب في مجلات الرسالة والثقافة وتراث الانسانية والكتاب العربي ومجلة العربي الكويتية ومجلة الكويت ومجلة البلاغ كما كتب لكثير من الصحف العربية : جريدة الضياء والصرخة والاساس في مصر والجمهورية في العرق والقبس والرأى العام والوطن في الكويت .

كاتب وكتاب

الكتاب : كنوز التلمود :

* سجل للتلمود مع مختارات مبوبة من كتابات الأحبار تكشف القناع عن الفكر الصهيوني المتسلط
* من النادر أن يجد القاريء مثل هذا الكتاب في المكتبات لأن اليهود ليسوا مثل غيرهم من أصحاب الديانات في الدعوة لنشر الدين واكتساب يهود جدد .
* اشتملت هذه الترجمة على عرض للمتون الأصلية المأخوذة من التلمود مع عرض المقدمة والذي ينبيء عن كتابات وتعديلات الأحبار الذين بلغ تطرفهم حد الزعم بأن الحكيم أعظم من النبي مما يبين طبيعة تعاليم الربيين وتأثيرها على الديانة اليهودية
* هذه الطبعة نشرت في مارس ١٩٢٥م من دار نشر انجليزية وحررها السيد س. ليقي / ماجستير في الأدب .
* اشتملت مقدمة الكتاب مع الترجمة على تعليقات كثيرة أثرت المعنى وحللت

المترجم : محمد خليفة التونسي :

- الميلاد : ١٠ / ٩/ ١٩١٥م في قرية تونس في صعيد مصر .
- تخرج في دار العلوم ١٩٣٩ ـ ماجستير في التاريخ .
- أعير للتدريس بالعراق عام ٦٤ وندب لاصلاح التعليم الديني بها .
- من مؤلفاته :

ـ في الشعر : (العواصف ـ الرباعيات ـ الفيصليات ـ الأنوار المحمدية) .

ـ في الترجمة : (الخطر اليهودي : بروتوكولات حكماء صهيون ـ ما اعتقد : برتراند راسل ـ كنوز التلمود) .

ـ في الاداب والتاريخ واللغة : (التسامح في الاسلام ـ الخليل بن أحمد ـ بشار بن برد ـ تاريخ الزندقة وتطورها في الاسلام ـ فصول من النقد عند العقاد ـ العقاد دراسة وتحية (مع آخرين) ـ أضواء على لغتنا السمحة ـ العناصر النفسية لليهود) .

ـ وهناك عدة كتب لم تطبع بعد فضلًا عن مقالات كثيرة جداً في الصحف والمجلات منذ عام ١٩٣٢م حتى وفاته عام ١٩٨٨م .

